دير القديس أنبا مقار
ببرية شيهيت

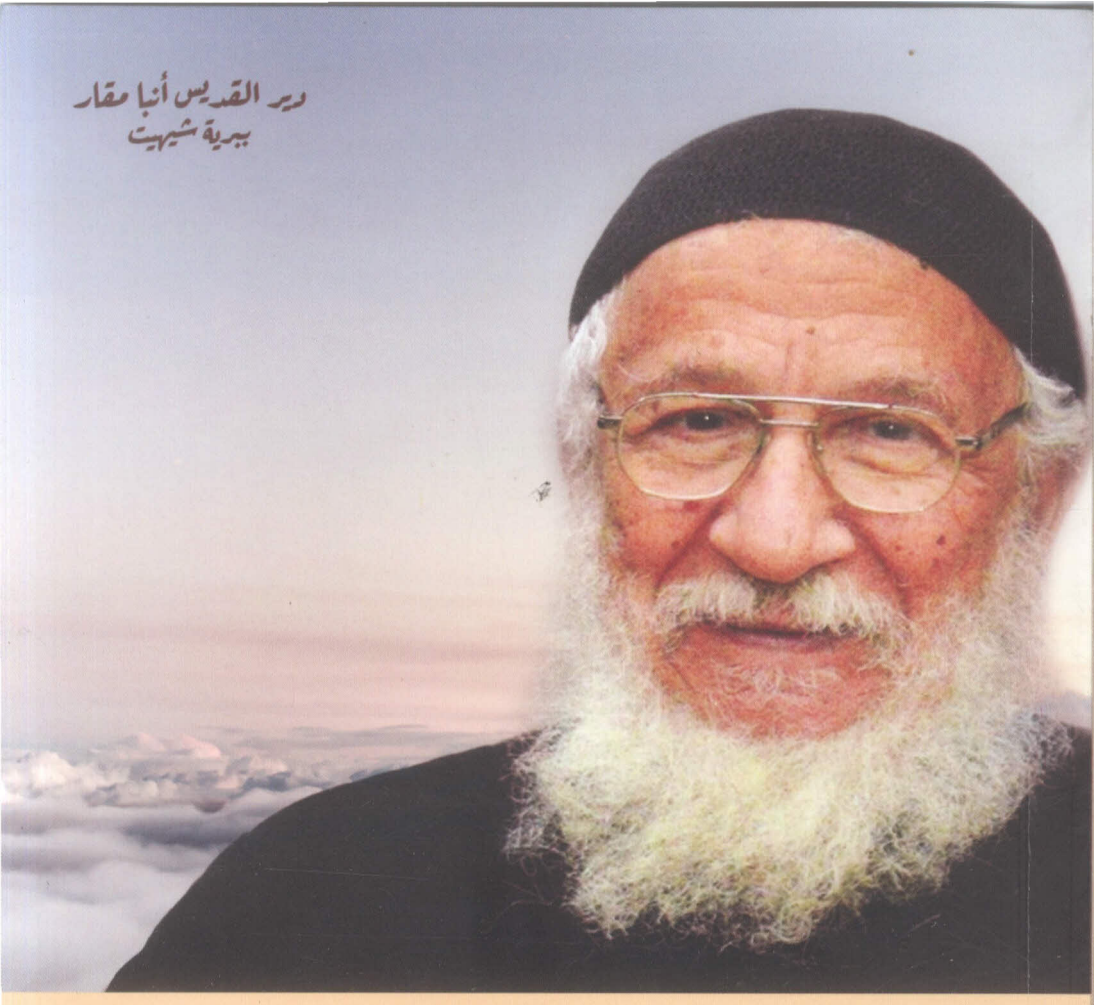

العاشق الإلهي

عمل الله فى حياة الأب الراهب

أليشع المقارى

دير القديس أنبا مقار
ببرية شيهيت

العاشق الإلهي

عمل الله فى حياة الأب الراهب

أليشع المقارى

كتاب : العاشق الإلهي
عمل الله في حياة الأب أليشع المقاري
إعداد: الراهب أرسانيوس المقاري
دير القديس أنبا مقار – برية شيهيت، ٢٠١٩
تصميم الغلاف والإخراج الفني:
مهندس مايكل نبيل ت/ ٠١٢٢٨٤٤٦٦٠٧
المطبعة : سان مارك ت/ ٠٢٢٣٣٧٤١٢٨
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

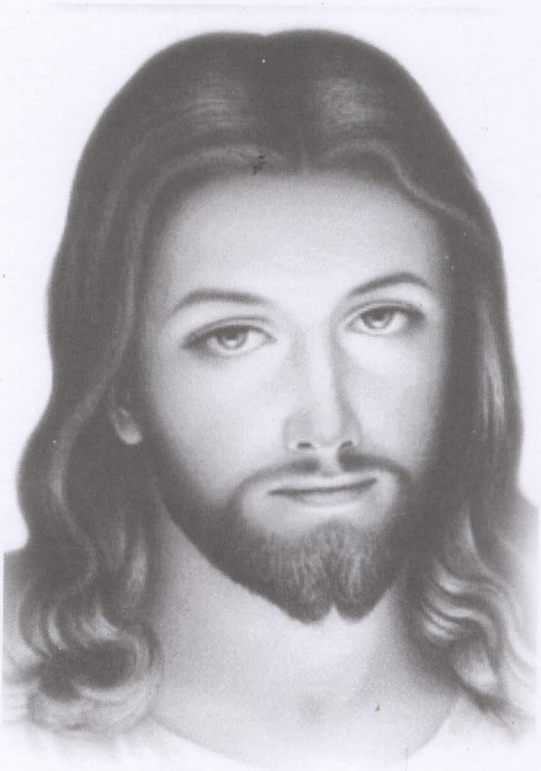

الأبرع جمالاً من بني البشر

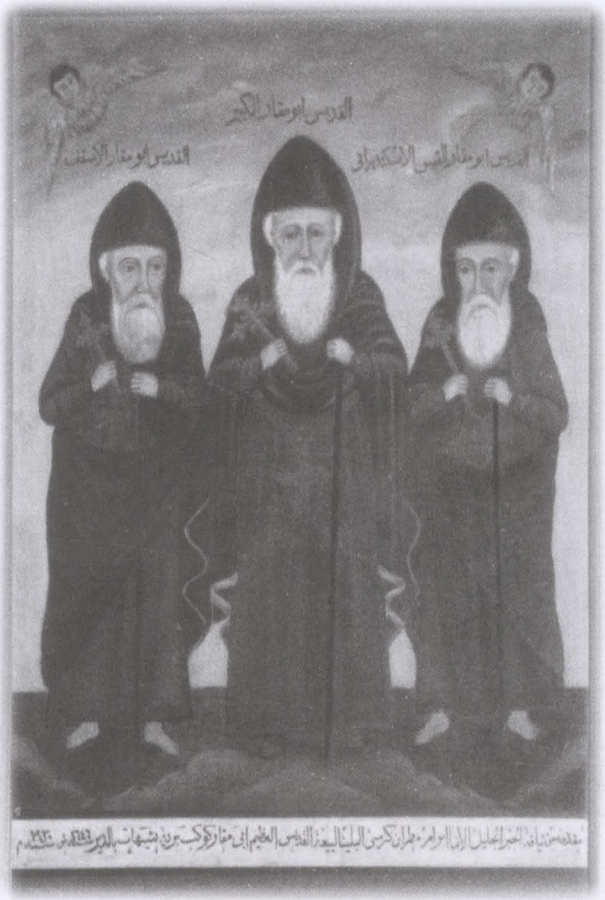

الأنبا مقار الكبير

والأنبا مقار السكندري والأنبا مقار الأسقف

قداسة البابا تواضروس الثاني

مثلث الرحمات

الأنبا بيفانيوس

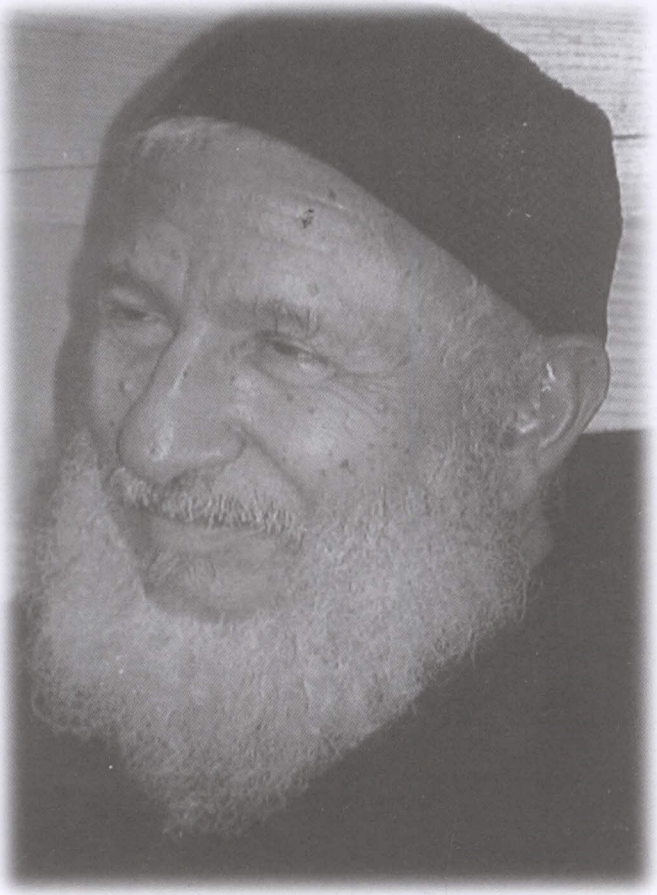

الراهب القس أليشع المقاري

٧/ ١١/ ١٩٣٦ - ٢٤/ ١/ ٢٠١٩

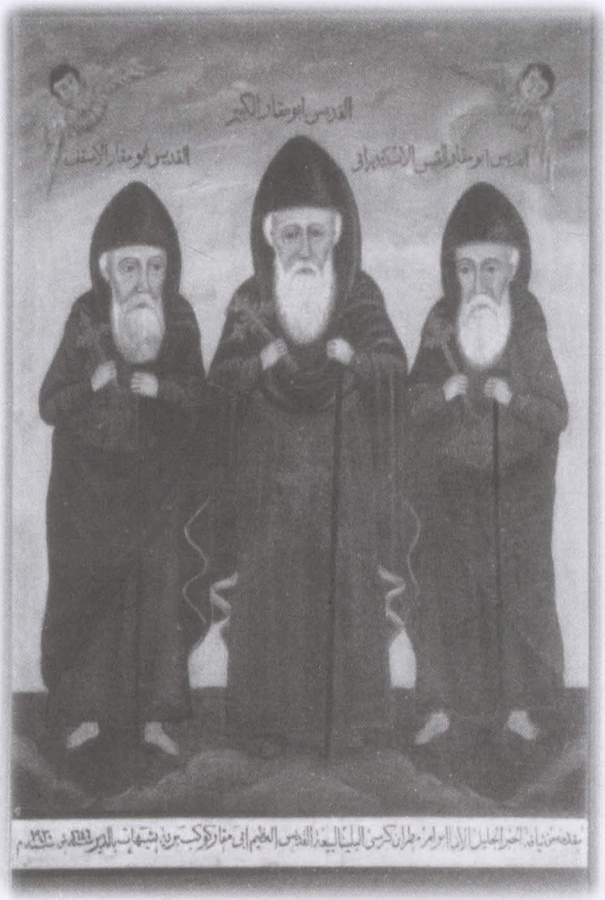

الأنبا مقار الكبير

والأنبا مقار السكندري والأنبا مقار الأسقف

على سبيل التقديم

أبونا أليشع، أن تتكلم عنه أو تلم به، فهذا هو المستحيل بعينه، فمن أين تستطيع أن تبدأ؟ وأي فضيلة يمكنك أن تصفه بها؟ كلها تسابق بعضها، والكمال فيها جميعها...

هو أولًا الراهب الفاضل، الذي أكمل نذور رهبانيته، وعاش أمينًا لرهبانيته، عفيفًا، متجردًا لآخر نفس في حياته، ثم هو رجل الجهاد في الصلاة، وهو بطل حياة الإيمان، وهو النموذج الفائق للعطاء، هو المحبة العملية، هو إنسان السلام والمصالحة، هو اللطيف الوديع، هو ملاك أرضي وبشر سماوي ... الكلام يقصر ولن يفي... هو باختصار الفضائل مجتمعة ومتجسمة.

وعندما تسأله هو عن نفسه يجيبك أنه لا شيء، الرب هو كل شيء ... منتهي التواضع وإنكار الذات.

تخطى أبونا أليشع محدودية المكان، فانتماؤه المكاني لا ينحصر في بقعة معينة، فللرب الأرض وملؤها: هو راهب مجمعي في دير الأنبا مقار، وهو أب رهبان دير الأنبا مكاريوس بوادي الريان، وهو مُنشئ دير عمانوئيل وأب الراهبات هناك. والأديرة ليست هي وحدها مجال خدمته؛ فهو الذي أنشأ صرح بيت المحبة للمغتربين بالزيتون، هذا الذي يسع ٤٠٠ طالب، بالإضافة إلى عيادات المحبة بالزيتون...

أبونا أليشع لا نبالغ إن قلنا إنه شخصية أسطورية، صعب أن تتوافر فيها كل تلك الإمكانيات والفضائل، والتي ربما يصعب ويندر اجتماعها معًا في شخص واحد؛ فكيف هو الراهب المتوحد، ساكن المغاير، محب الهدوء والخلوة، يكون هو هو نفسه الشخص الخادم، الذي لا ينفر من الناس ومن آلامهم واحتياجاتهم ويفعل المستحيل لأجل راحتهم...!!

تميز أبونا أليشع بفضائل متنوعة، سوف نذكرها باستفاضة في ثنايا الكتاب، ولكنني أجدها موجودة عند كثير من المؤمنين – وإن كانت بدرجة أقل بكثير – ولكن، في نظري أجد إن أعظم فضيلة تميز بها هي فضيلة عدم الإدانة. لقد لاقى أبونا أليشع مقاومات شرسة وهجمات قاسية جارحة من كثيرين، إلا أنه أبدًا أبدًا لم يدنْ إنسانًا، لم يُعادِ مخلوقًا، ظل على حبه وولائه للجميع، لم يتفوه بكلمة واحدة خارجة في حق أحد. قد تجد من حوله ينفعل ويهاجم ويُخطِّئ وتأخذه الحِمية ويرد ويدافع؛ أما هو فيصمت، ولا يخرج عن وقاره.

على أن هناك فضيلة أخرى أحب أن أذكرها لأبونا أليشع في هذه العُجالة، وهي احتفاظه بهدوئه في كل الأماكن والأوقات؛ فمع أنه كان ينزل للعالم كثيرًا لقضاء حاجات الدير وطلبات الآباء؛ إلا أنه وكأنه لم يفارق الدير، كان يحمل قلايته ومغارته معه، لم يفارقها ولم تفارقه.

عاش حياته للمسيح، عاشقاً للإله، هذه باختصار شديد ملخص

سيرة حياته الطويلة، لقد استطاع من خلال اتكاله وثقته بمسيحه، أن يدخل بجسارة الإيمان أصعب المشاكل ويحلها ببساطة وسهولة شديدة ودون تعقيد... كل شيء عنده سهل ومُمكن، فإذا كان المسيح موجودًا، فلا مستحيل، بل إن هذه الكلمة ملغية تمامًا من قاموس حياته.

سيرة أبونا أليشع هي ثرية وممتدة، وسنحاول أن نُلخصها في مواقف من حياته وقصص من واقع اختباراته في عمل الله معه ومع الآخرين بواسطته... ويجب أن نعترف أننا مهما أسهبنا في السرد، ومهما قال عارفوه ومحبوه فلن نستطيع أن نلم بكافه جوانب هذا الإنسان الفريد.

وفي الختام نقول إن دعوة أبونا أليشع هي دعوة خاصة فريدة، غير قابلة للتكرار كثيرًا. لقد جمع أبونا أليشع في نفسه النقيضين معًا: حياة الرهبنة، بل الوحدة الكاملة في مغارة لمدة سنوات، ثم حياة الخدمة العاملة بكل ضوضائها!! كيف تم له ذلك؟ كيف نجح فيهما كليهما؟؟ لعل ذلك يعود لسببين: أولهما هو محبته بل عشقه للمسيح وأمانته له بكل عزم وتصميم. وثانيهما هو فترة التأسيس الأولى التي قضاها في مغاير وادي الريان، حيث ملكت الرهبنة على كل حياته... وعندما دعاه داعٍ سمع الصوت: «لا تحف يا يعقوب للنزول إلى مصر» أطاع وحمل مغارته معه، وأكمل رهبانيته وسط آلام البشرية.

يجب أن نعترف صراحة أن انطلاقة أبونا أليشع من راهب داخل

ديره، يحيا تحت نير المجمع الرهباني إلى حياة الخدمة في العالم أحدثت شرخًا كبيرًا في العلاقة بين أبينا أليشع وبين ديره، ولكن كل ما يُعمل هو للخير. فكما أدى انفصال القديس مرقس عن القديس بولس إلى حين، إلى وجود جماعتين تبشيريتين بدلًا من واحدة؛ هكذا صار هناك بواسطة أبينا أليشع أكثر من جماعة رهبانية.

مصادر هذه السيرة العطرة هي من فمه مباشرة سواء حين كان يجلس معنا، كمجمع رهبان دير الأنبا مقار، بعد عودته من كل سفرية له للخارج، ليحكي لنا كيف تمجد الله معه وأحضر كل ما كلَّفه به أبوه الروحي القمص متى المسكين لاحتياجات الدير، والذي كان في المراحل الأولى لإعادة تعميره، أو في جلسات شخصية معه في المغارة حين كان مجموعة من الآباء يعملون معه اجتماع صلاة أسبوعي. وأيضًا مذكرات شخصية للراهب الفاضل عمانوئيل المقاري. كذلك أحاديث أبينا كيرلس (أخيه في الرهبنة) عن الفترة التي قضوها معًا في وادي الريان.

نُكرر ليس هذا الكتاب تاريخًا يؤرخ زمنياً لمراحل حياته؛ ولكنه إطلالات وومضات سريعة على عمل الله العظيم من خلال هذه المنارة المباركة التي رفعها الله على الجبل لتضيء لكثيرين في هذا الجيل.

لمحات مضيئة من حياته

نشأته وميلاده

وُلد الطفل أمين نجيب (أبونا أليشع) في بلدة ببا محافظة بني سويف في ٧ نوفمبر سنة ١٩٣٦ من أبوين تقيين يجمعان بين الثروة المادية والتقوى الروحية، وقد ربياه على مخافة الله إنما في حرية التصرف والسلوك دون إرغام أو قهر... وكما يقول هو: "إن والده كان يعامله منذ نعومة أظفاره كصديق لصديق، يقدم له النصيحة في محبة ودون إجبار، ويجعله حرًا في اختيار مصير حياته بلا تقييد ولا إقحام".

كان الطفل أمين أكبر إخوته لذلك كان محط آمال الأسرة، لدرجة أن والدته فاتحته مرة في الزواج وهو عمره ٤ سنوات، وهو لا يدري ماذا يكون الزواج، فقال لها لن أتزوج، بل سأعيش لله! فقالت له والدته: "أراهنك، يا حبيبي، أنك ستتزوج عندما تكبر، فقال لها: لا، لن أتزوج، وأنا أراهنك على ذلك!"، وكان الرهان جنيهًا مقابل جنيه! وكبر الطفل أمين ونما في النعمة والقامة عند الله والناس، واشتغل عدة سنوات وصار بعدها راهبًا، وفي أول مقابلة مع والدته بعد رهبنته، قال لها بنوع من المداعبة: "أنت فاكرة الرهان الذي تراهنت به معك منذ ٢٥ سنة؟ أعطيني جنيهًا، أنا ربحت الرهان!" فهكذا كان الطفل «أمين» مختارًا منذ طفولته.

شب الطفل «أمين» وكبر وتعلم في المدارس الابتدائية الأجنبية، ثم انتقل في المرحلة الثانوية إلى أسيوط حيث دخل كلية الأمريكان لمدة خمس سنوات، ويقول: أنه في ذلك الوقت أُعطي له كتاب مقدس

عهدين، وكانت هذه الهدية هي بداية عهده مع الله، وكان يقرأ في اليوم الواحد أكثر من ثلاثين أصحاحًا باشتياق زائد.

ولما تخرج من كلية الأمريكان وكان ترتيبه الأول على دفعته، ونظرًا لأخلاقه وشخصيته التي فاحت منها رائحة المسيح الزكية، اختارته الكلية ليكون أيضًا الطالب المثالي عِلمًا وأخلاقًا. وبالرغم من تفوقه الذي يؤهله لدخول أرقى الكليات إلا أنه اختار بملء حريته الدراسة في كلية التجارة، وربما كان غرضه مساعدة والده في مجال التجارة والأعمال الحرة.

خدمته في مدارس الأحد

أثناء دراسته بكلية تجارة عين شمس بالقاهرة، ومنذ السنوات الأولى التحق بخدمة مدارس الأحد بمطرانية الجيزة، وكانت خدمته بالخصوص هي في القرى وافتقاد الفلاحين والعمال البسطاء ورعايتهم روحيًا، ثم أنه كان يمد الأسر الفقيرة بما تحتاج إليه ماديًا من مصروفه الخاص. وكان يقتصد ويُضيِّق على نفسه بما يصله من أسرته كل شهر. ومن هنا نشأت فيه موهبة الخدمة والعطاء والبذل من أجل الآخرين.

خدمته في مدينته

بعد أن تخرج من الجامعة، وكان عمره وقتها ٢٢ سنة عاد إلى مدينته "ببا" وعمل مشروعًا تجاريًا كبيرًا كان يدر عليه أرباحًا ضخمة إذ كان يقترض من البنك بضمان أملاك أسرته ويسدد القرض مع فوائده، والباقي كله يوزعه في خدمة الفقراء والمحتاجين، حتى أنه لم يكن يدخر لنفسه شيئًا قط،

وكانت آيته المفضلة التي تمسك بها وما فتئ يرددها طوال سنوات عمره: «الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه: افتقاد الأيتام والأرامل في ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم» (يع١: ٢٧).

بداية تعرفه على الأديرة والأب متى المسكين

بعد تخرجه، ولمدة سبع سنوات ظل يتردد على الأديرة ولا سيما دير السريان، حيث تعلقت نفسه بالأب متى المسكين[١] والجماعة الروحية التي حوله، وكان ذلك في بداية الخمسينيات، وبعد أن تركوا دير السريان وذهبوا إلى دير الأنبا صموئيل من سنة ١٩٥٢ حتى ١٩٥٩، استمر «أمين» يتردد عليهم ويمدهم بما يحتاجون من مساعدة أو خدمة. وبعد انتقالهم إلى وادي الريان، كان هو المُمول الأساسي لهم في احتياجاتهم من طعام وكساء، فكان يأتيهم بعربته الجيب من القاهرة ومنها إلى الفيوم ثم وادي الريان. وكان يقضي معهم خلوات طويلة قبل رهبنته هناك. واستمر الأخ أمين يتردد على وادي الريان من سنة ١٩٥٩ حتى ١٩٦٢.

وفي أثناء ذلك كان يحاول محاولات مستميتة مع الأب متى المسكين لكي يقبله ضمن الرهبان هناك، ولكنه كان يرفض لكي يختبر مدى أمانته

---

(١) لقد ذكر مرة أنه قرأ كتاب "حياة الصلاة" فتأثر به جدًا، ولما عرف أن مؤلفه هو الأب متى المسكين في دير السريان، ذهب إليه هناك وتعرف به، وكانت هذه البداية لعلاقة روحية استمرت عشرات السنوات.

للديمومة الرهبانية ويؤجل له الميعاد من سنة إلى أخرى بحجة أنه نافع للجماعة وهو الذي يحضر لهم المؤن والاحتياجات، وأن أحدًا لا يعرف الطريق إليهم سواه! [٢] ولكن في سنة ١٩٦٢ مكث الأخ أمين هناك وصمم أنه لن ينزل العالم مرة أخرى. وفعلًا قبله أبونا متى ولبس ثوب مبتدئ، وفي سنة ١٩٦٣ رُسم راهبًا باسم الراهب: «أليشع»[٣] وقال له الأب متى المسكين: [أنا أسميتك أليشع لأنه كما أخذ أليشع النبي نصيب اثنين من روح إيليا النبي، هكذا أنت ستأخذ نصيب اثنين من روح أبيك الروحي]. وكان الأب متى يشيد كثيرًا بأبينا أليشع ويقول للآباء: [إن في جيلنا هذا كله لم أرَ راهبًا كاملًا في الفضائل والروح مثل أبينا أليشع وأنه ممتلئ نعمة].

موقف أسرته

قبل أن يحضر الأخ أمين (أبونا أليشع) إلى وادي الريان كانت أسرته من كثرة تردده على تلك الجماعة الرهبانية وخلواته الكثيرة هناك قد استشعرت بنيته الرهبانية، فقاومته بشدة، ولكنه انتصر عليهم، وتمسك بدعوته التي اقتنع بها تمامًا أنها ليست من إنسان ولا بتأثير من لحم ودم بل من الله. وقال لوالدته: [حتمًا سأفترق عنكم شئتم أم أبيتم!

---

(٢) كان لا يزورهم أحد قط، والطريق إليهم كان صعب الوصول إليه.

(٣) كان الرهبان في وادي الريان يُرسمون رهبانًا بدون طقس رسامة لسبب أنهم كانوا غير مُنتمين لدير رسمي، ولكن لما استقروا في دير أنبا مقار أُجري عليهم طقس الرسامة واحتفظوا بأسمائهم الرهبانية وأقدميتهم في الرهبنة.

الأفضل أن نفترق ونحن أصدقاء من أن نفترق ونحن على خلاف وربما لا ترونني فيما بعد!!] فقالت له والدته: "افعل ما شئت يا ابني، ولنكن أصدقاء! " فقال لها: [باركي عليَّ برشم الصليب] فرشمت والدته عليه الصليب، وقالت له: "الرب يبارك حياتك ويثبتك في إيمانك ويقود خطواتك. اذهب الرب معك". فذهب مطمئن البال، ومكث في وادي الريان بلا رجعة ثانية إلى العالم(٤).

الحياة في وادي الريان

كانت الحياة في وادي الريان هي حياة أشبه بحياة آباء البرية في الجيل الرابع. فالمؤن الغذائية شحيحة، والطبيعة قاسية، والمياه مالحة وبعيدة عن المغارة الكبيرة التي كانت تأويهم جميعًا في البداية، ثم أن هذه صحراء قاحلة بها حيوانات مفترسة، وكثيرًا ما رأوا دببًا ضخمة، وفوق هذا كان هناك أعراب مُسلحين ومرتحلين بصفة دائمة يعملون في تهريب الحشيش، وكانوا يظنون أن هؤلاء أشخاص مُتخفين من الحكومة في صورة رهبان جاءوا لهذا القفر ليتجسسوا عليهم، وكثيرًا ما تهجموا عليهم وحاولوا أذيتهم.

كان العمل قاسيًا، وكان عليهم أن يجلبوا الماء من العين ويمشوا به مسافة طويلة ليصلوا لمغارتهم، كذلك كان عليهم البحث عن حطب

---

(٤) لما استقر أبونا أليشع مع الجماعة الرهبانية، قام المهندس نبيل فوزي (أبونا يعقوب المقاري الراحل) باستلام مهمة إحضار احتياجات الرهبان كل شهرين.

لكي يشعلوا الفرن، وأيضًا كانوا يفتشون على حجارة في الجبل لكي يبنوا حوائط لتمنع عنهم الرياح الشديدة البرودة ولاسيما في الليل، ويحجزوا بها الرمال التي كانت تختلط بطعامهم. كانوا يعملون من الصباح الباكر حتى غروب كل اليوم تتخللها فترة راحة وغذاء لمدة ساعة ونصف في الظهر.

ومع كل هذه المشقة والتعب، كان الفرح والقوة تملأهم، وكان أبونا متى معهم يشجعهم بكلام روحي، بل إن السماء كانت مُلزمة بتعزية هؤلاء الرهبان المنعزلين في هذه البرية الجرداء.

أما عن أبونا أليشع، فقد شارك إخوته الرهبان في كافة أعمالهم، فمرة تجده يقود حمارًا ويُحمِّله بجراكن المياه من أسفل الجبل إلى منطقة المغائر عدة مرات يوميًا. ومرة يقطع الجريد من النخل وهو ممتلئ من السِل المدبب كالشوك ويحمله على كتفه فينغرس في لحمه، ليستخدموا هذا الجريد في عمل سياج حول المغاير ليحميهم من العواصف والرمال. كذلك كنت تراه يجاهد في زراعة قيراطين أرض لكي يخرج عود جرجير أخضر لئلا يمرض الآباء من عدم وجود خضروات.

وقد ذكر مرة أبونا أليشع كاختبار شخصي له أنه كان يقضي في مغارته طوال اليوم في صلاة دائمة، أما معظم ليله فكان في التأمل في الإنجيل والصلاة والتسبيح، حتى اقتنى شركة ودالة عميقة وقوية مع

الله. وأعطاه الله مهابة وشجاعة في أعين أقسى الرجال شرًا من قُطَّاع الطرق والمُهربين الذين كانوا يمرون من تلك الجهة وهم يحملون السلاح، فكان أبونا أليشع يقابلهم بشجاعة ويتكلم معهم بالحق، وكان الله يعطيه نعمة في أعينهم، وصاروا هم الذين يهابونه ويخضعون له، وكأنه هو المتسلح وهم المتجردون من السلاح! وكان الآباء إخوته يتعجبون من جسارة إيمانه وشجاعته الإيمانية.

ذهابه إلى دير الأنبا صموئيل

في فبراير سنة ١٩٦٦ جاء إلى وادي الريان الأب مينا الصموئيلي رئيس دير الأنبا صموئيل، وطلب من الأب الروحي القمص متى المسكين أن يسمح له ببعض من الرهبان أبنائه ليُعمِّروا الدير عنده حسب توصية البابا كيرلس السادس. فجمع أبونا متى الرهبان واختار الأب مينا والأب إرميا والأب أليشع، وقال لهم: "أنه يشق علينا جدًا مفارقتكم لنا، ولكن ينبغي أن نثبت للكنيسة أننا أبناؤها ولسنا خارجين عنها، وها نحن خاضعون وطائعون لرئاستها في كل ما يُطلب منا، كأنه من الله العلي نفسه"، وكتب إليهم رسالة مُطوَّلة لتكون لهم دستورًا يحيون به في دير الأنبا صموئيل. وفعلاً ذهبوا هناك، وظل أبونا أليشع مع الآباء هناك عِدة شهور تحت نير الطاعة والخضوع لرئيس الدير، ولكنهم أحسوا بعدها أنه يريد منهم الانفصال الكامل عن أبيهم الروحي، وأن يتم تغيير شكلهم الرهباني ورسامتهم من جديد على اسم

دير الأنبا صموئيل، الأمر الذي رفضه الآباء بتاتًا، وآثروا العودة إلى أبيهم الروحي وإخوتهم الرهبان.

نزول الآباء من وادى الريان

ظل الآباء في وادي الريان حوالي ٩ سنوات يُذللون الصعاب والمشاكل التي تواجههم، وكان آخرها ملوحة الماء، فاستطاعوا أن يعملوا جهاز تقطير للمياه يعمل بالطاقة الشمسية. وبعدها استقروا في مغارات جديدة واسعة بنوها. إلا أنه بعد عيد القيامة سنة ١٩٦٩ بدأت اتصالات الأب الموقر صليب سوريال بالأب متى المسكين ليبلغه رغبة الأب البطريرك في نزول الجماعة من وادي الريان إلى دير الأنبا مقار، فوافق الأب متى المسكين وأبناؤه الرهبان، وذهبوا جميعًا وتقابلوا مع الأب البطريرك، وطيَّب خاطرهم عن الظروف الصعبة التي قابلتهم طوال مدة إقامتهم في وادي الريان، وتصالح معهم وعانقهم بقبلة التسامح والمحبة ثم باركهم جميعًا وأحضر لهم جسد القديس مار مرقس، والذي كان قد وصل حديثًا من روما، ليتباركوا منه. واستقر الرأي على أن يذهبوا لدير أنبا مقار للسكنى فيه وتعميره. وهو الأمر الذي بدأ تنفيذه يوم ٩ مايو ١٩٦٩

الأب أليشع وحركة التعمير بالدير

من بداية تعمير الدير كان لأبينا أليشع اليد الطولى في إحضار كل مستلزمات التعمير من أسمنت وحديد مسلح وأجهزة ومعدات ... الخ

إلا أنه في البداية كان يوَدُّ الاعتكاف والوحدة كما كان في وادي الريان، الأمر الذي جعل أبونا متى بنفسه يمكث في القاهرة ويرسل للدير كل احتياجاته. ولكن لما رأى أبونا أليشع مشقة الأب الروحي وتعبه، أخذ منه هذه المسئولية منذ عام ١٩٧٠، حتى يتفرغ أبونا متى للعمل الروحي وإرشاد الرهبان روحيًا.

وما أن بدأ الآباء في وضع أساسات الدير وشرعوا في البناء والتعمير حتى مدَّ الله يده بسخاء بشفاعة صاحب الدير القديس أنبا مقار، إذ كان الله يعمل بنفسه في عمران الدير بمعجزات يومية على كل المستويات من توفير المال ومواد البناء والعمال... الخ. الأمر الذي أصبح من كثرة تكراره واختباره جعل الآباء يألفون المعجزة الفائقة الطبيعة ويعتبرونها وكأنها أمر طبيعي في حياتهم لا ينبغي أن يندهشوا له بسبب إيمانهم الكبير وثقتهم بإلههم الذي يعمل معهم وبهم في بيته.

على أن أكثر الآباء اختبارًا لعمل الله في بناء الدير وتوفير كل شيء لتعميره هو أبونا أليشع نفسه. وسنذكر في عُجالة بعض من هذه الاختبارات: + الأسمنت: كان أبونا أليشع ينزل للقاهرة ويحجز طلبية أسمنت ويُهيئ عربات كبيرة لنقلها، ودون أن يكون معه لا ثمن الأسمنت ولا ثمن شحنه في عربات النقل، وفي الموعد المحدد للدفع والاستلام ينزل للقاهرة وله ثقة وإيمان بالله الذي يدبر كل شيء، وبالفعل مرة ومرات اختبر تدخل الله في تدبير ثمن الأسمنت ونقله

للدير في الوقت المناسب ودون تأخير. وكانت رؤية الآباء كيف أن الرب يُلبي حاجتهم كل مرة بطريقة معجزية دافعًا قويًا لهم لاستمرارهم في التعمير.

+ الحديد المسلح: مرة حجز الدير شحنة حديد مسلح للبناء، وكان ميعاد السداد قد حان، ولم يكن في الدير أي مبلغ، فجمع أبونا متى الرهبان، وأعلمهم بالمشكلة، وقال لهم سوف ينزل أبونا أليشع لتدبير المبلغ المطلوب، وطلب منهم الصلاة ليُسهل الله أمره، لأنه إن لم يتم الدفع اليوم سوف تضيع علينا الحصة ونضطر لنشتريها بضعف الثمن من السوق السوداء... وإذ في نهاية اليوم قد حضر أبونا أليشع ومعه تريلا ضخمة مُحمَّلة بشحنة الحديد المطلوبة، وقد روى لنا كيف تدخل الله في الوقت المناسب وأرسل له شخصًا مُباركًا ودفع له المبلغ المطلوب قبل أن يغلق مكتب الحديد بساعة واحدة!!

+ مطبعة حديثة للدير: كان الدير في أشد الحاجة إلى مطبعة بسبب كثرة مطبوعات الدير، وكان الأمر يستلزم سفر الآباء القاهرة للإشراف على الطباعة في المطابع الخارجية، وكان الآباء يصلون من أجل هذا الموضوع ويوصون به أبانا أليشع، وهو كعادته وعدهم بأن الله سيُدبر ما فيه الخير. وذات يوم تقابل أحد الأحباء بالأب أليشع وبادره بالكلام، ودون علم بما يحتاجه الدير، قائلًا: "أنا كنت في المعرض الدولي للمطابع، ورأيت هناك ماكينة تصوير آلي (أوفست) وثمنها مناسب، وأنا

كنت أنوي أن أتبرع بشيء للدير، فهل الدير يحتاج إليها؟! أنا على استعداد لشرائها وتقديمها هدية للدير!!". فنقل أبونا أليشع هذا الكلام لأبينا متى الذي تعجب واعتبر ذلك علامة موافقة من الله... وحضرت الماكينة الفوتو، وكانت إحدى ماكينتين تدخلان مصر لأول مرة، أحدهما أخذتها جريدة الأهرام! ثم تعرف أبونا أليشع بعد ذلك على هيئة إنجيلية في ألمانيا وعن طريقها أحضر للدير ماكينة طباعة حديثة. وبعد ذلك استُكملت مطبعة الدير من آلات التطبيق والقص والتدبيس والخياطة... كل ذلك بعمل الله العجيب في الدير بواسطة الأب المحبوب المتضع أبونا أليشع.

سفريات أبونا أليشع لخارج مصر

في الحقيقة إن أعظم الأعمال التي ظهرت فيها يد الله مباشرة في إحضار معدات للدير بواسطة الأب المبارك أبينا أليشع كانت في تلك السلسلة المباركة من الأسفار للخارج، والتي بدأها في صيف ١٩٧٧ إذ أوصاه الأب الروحي أن يسافر إلى ألمانيا ليُحضر سيارة نقل قلاب مُستعملة لنقل الرمال والأحجار لاستكمال البناء في الدير، وبعد ذلك توالى سفره لاستيراد معدات ثقيلة وآلات زراعية لاستصلاح الأراضي، كذلك شراء بهائم للحظيرة ليتم تهجينها مع الأصناف البلدية.

أما البداية فقد قال لنا عنها أبونا متى فيما بعد لتقوية إيماننا بتدبير الله معنا: «أبونا أليشع سافر ألمانيا ليحضر قلاب نصف عمر بـ ١٠إلى ١٢

ألف جنيه، فأحضر آلات بـ ١٢٠ ألف جنية، دون أن يكون معه شيء!!».

وبعد عودة أبونا أليشع من كل سفرية له كان يجلس معنا ويروي لنا معاملات الله معه واختباراته الإيمانية، وهي في حد ذاتها تحتاج لكتاب خاص، ولكننا هنا سنقتطف منها بعض تلك الاختبارات، التي تبين كيف يتعامل الله مع إنسان راهب عائش في البرية، ينزل للعالم ليتعامل معه، ليس في مصر فقط، بل وفي أوربا أيضًا، وسط أعظم مظاهر التحرر والانحلال، ولكنه من أجل طاعته لأبيه، نزل وسط أتون بابل هذا العالم وخرج سالمًا نقيًا كالثلاث فتية القديسين.

إيمان بسيط لا يقبل الفحص ولا المنطق

كانت العادة أن أبونا متى يقول لأبينا أليشع نريدك أن تسافر لألمانيا لتحضر لنا كيت... وكيت... (آلات ومعدات بمئات الألوف) ولا يعطيه إلا ثمن تذكرة الطائرة فقط ذهابًا وعودة. فيقول أبونا أليشع ببساطة وطاعة كاملة: «حاضر»، وبلا أدني تفكير أو شك في كيف يتم ذلك. ويسافر، وبالفعل يُحضر كل شيء طُلب منه، دون أن يكون معه رصيد في بنك، سوى الإيمان بالله، القادر على كل شيء.

+ وبمجرد أن يستقر في البلد التي هو نازل فيها يصلي للرب من أجل أن يُسهل طريقه قائلًا: [يا رب أنت تعلم أني أتيت هنا في هذه البلاد الغريبة غريبًا من أجل الطاعة ومن أجل عملك وديرك، وأنا لن أطلب من إنسان شيئًا قط، وكيف أطلب من إنسان وأنت موجود؟]. وكان بالفعل لا

يطلب من أحد شيئًا، بل يذهب للحال ويبحث عن المعدات والآلات المطلوبة للدير، وبجسارة إيمانية يدخل إحدى الشركات الألمانية أو الأمريكية ويتفاهم مع مديرها بشأن المعدة الفلانية، ويقول للمدير: نحن رهبان فقراء عائشون في الجبال ولا نملك إلا القليل، فنرجوك أن تُخفِّض لنا من ثمنها، فيرقُ المدير لحاله، ويخفض له رُبع القيمة، فيقول له أبونا أليشع لا زال الثمن مرتفعًا علينا... أنت تركت من أجلنا شيئًا من المبلغ، نشكرك عليه؛ ولكن ألا تترك من أجل الله شيئًا آخر؟! فيبتسم المدير ويُغلب على أمره ويترك له نصف قيمة الثمن المطلوب! ويتفق معه أبونا على حجز المُعدة لحساب الدير ويُحدد معه ميعادًا لدفع الثمن وأجرة الشحن... كل هذا وأبونا ليس معه شيئًا قط لا من ثمن المعدة ولا أجرة الشحن. ويذهب أبونا أليشع ويُحاجج ويُلاجج مع الله في الصلاة على أنه اتفق وارتبط مع الشركة وتحدد ميعاد الدفع ويقول له: تصرَّف أنت يا رب! وكان الرب بالفعل يتدخل ولا يخزى أبدًا المتكلين عليه، ويكون هذا التدخل عجيبًا وسريعًا، إذ يقابله أحد المعارف المحبين للدير ويسأله: "ماذا تعمل هنا، يا أبونا؟" فيجيبه: "جئت لأشتري بعض المعدات للدير"، ودون أن يطلب أبونا أليشع منه شيئًا، إذ بالرجل يقول له في الحال: "كل طلباتكم أنا متكفل بها يا أبونا"، ثم يعرف منه هذه الطلبات ويعطيه شيكًا بأكثر من ثمنها، ويقول الرجل لأبينا أليشع: "إن احتجت لشيء آخر لابد أن تتصل بي، أنا تحت أمرك!".

امتحان الإيمان

وفي أحيان أخرى، يظهر وكأن الرب يريد أن يمتحن إيمانه، فكان لا يحصل على أي مبلغ قط، وقد حان ميعاد السداد للآلة التي اشتراها، فيظل أبونا أليشع يصرخ أمام الله أن لا يفضحه ولا يهين اسمه (اسم الرب) الذي يُمثله، كرجل دين، أمام هؤلاء الأجانب الذين صدَّقوه وأعطوه الثقة بسبب الثوب الرهباني الذي يرتديه، فلا يسمح أن يكون كاذبًا مُخادعًا أمامهم فيعد ولا يوفي ...! فكان الله ينتظر، وفي آخر لحظة وقبل الميعاد بساعات يتدخل بأن يتصل به صدفة بالتليفون أحدهم ويقول له: "علمت أنك حضرت من مدة، فلماذا لم تتصل بي، الرب ثقَّلني، وعندي إحساس أنك في احتياج إلى شيء ... وفعلًا يدفع الرجل كل طلبات الدير". ويذهب أبونا أليشع للشركة في الميعاد المُحدد ويُسدد ما عليه وهو مُنذهل من عمل الله الذي يتدخل ويدبر كل شيء في الوقت المناسب.

+ ومن كثرة تردده وسفره إلى ألمانيا بالذات والتعامل مع الشركات هناك، زادت ثقة الناس به، لدرجة أن مديري الشركات كانوا يضمنونه لدى الشركات الأخرى ويقرضونه بالمال إذا احتاج!

+ وذات مرة قبل سفره أراد أبونا متى المسكين أن يُريحه من مشقة الحصول على ثمن الأشياء المطلوبة للدير، فأعطاه جزءًا من ثمنها، وسافر أبونا أليشع وأحضر كل المطلوب شرائه، ويعود ومعه

نفس المبلغ الذي كان قد أعطاه له أبونا متى. وكان تعليق أبينا أليشع على ذلك: [الله ردَّ لنا المبلغ المأخوذ من الدير لكي لا يكون مديونًا لنا بشيء، بل نكون نحن مديونين له بكل شيء].

+ ومرة سافر أبونا أليشع إلى كندا لإحضار بلدوزر للدير، وكالعادة لم يكن معه من ثمنها شيء، والعجيب أنه لم يكن يعرف أحدًا في تلك البلاد ولا إلى أين يذهب، وما أن خرج من المطار طالبًا معونة الرب وإرشاده حتى تقابل مع طبيب مصري كبير يعمل هناك، فسأله: "من أي دير أنت يا أبانا؟". فأجابه: "من دير القديس أنبا مقار". فسأله الطبيب: "هل تعرف هناك الراهب أليشع؟" ويجيبه مبتسمًا: "أعرفه شخصيًا، ولكن كيف تعرفه أنت وهو لا يعرف أحدًا في كندا؟!" فقال له: "أنا كنت زميلًا له في الدراسة". وابتدأ أبونا أليشع يتذكره، فهو كان معه في المدرسة منذ ثلاثين سنة. ثم قال له أخيرًا: "أنا هو الراهب أليشع نفسه". وأخذه الطبيب بالأحضان الحارة، واستضافه في بيته أكثر من أسبوع وكان يحتفي به جدًا وقضى كل طلباته، ودفع جزءًا كبيرًا من ثمن البلدوزر (D9).

+ ومرة أخرى سافر لألمانيا لإحضار أدوات مطبخ آلي وثلاجة تجميد ضخمة وفرن كهربي آلي، وسافر مُتكلا على عناية القدير الذي لم يتخلَ عنه قط من قبل، وفعلًا وفَّقه الله كالعادة واشترى كل هذه الأدوات وشحنها للدير. ومن الطريف، يقول أبونا أليشع، أن رئيس

جمهورية ألمانيا الغربية (قبل الاتحاد) أراد أن يعمل مشروعًا عامًا، وكانت ميزانية الدولة لا تسمح، فناشد الرئيس المواطنين الألمان بالمساهمة فيه، وبعد مدة أعلنت الجرائد عن المبالغ التي تبرع بها الألمان، ويجدها أبونا أليشع أقل مما جمعه هو!!! ويُعلق أبونا أليشع على هذا ويقول: "إن فرغت مخازن العالم، فمخازن الله لا تفرغ".

+ في نهاية إحدى سفرياته لألمانيا، وبينما هو يستعد للرجوع لمصر، إذا بالدير يطلب منه إحضار آلة معينة، فبحث عنها في ألمانيا، ولكن قيل له أنهم لا يصنعونها عندهم، ولكن يمكن أن يجدها في إنجلترا، ففكر كيف يسافر لإنجلترا وليس معه فيزا ولا نقود، وهو يريد العودة لديره ... وبينما هو يفكر هكذا طالبًا تدخل الرب، إذ بجرس التليفون يرن ويطلبه صديق من إنجلترا سمع أنه في ألمانيا ويسأله هل يريد الدير شيئًا!! فيتعجب أبونا أليشع جدًا، كيف أن هذا الشخص يتصل به في هذا الوقت بالذات، وذلك من نفس البلد التي توجد فيها الآلة التي يحتاجها، وأحس أن يد الرب ستعمل، فذكر له الآلة التي يطلبها الدير. وبحث هذا الأخ عنها ولم يجدها، وبالصدفة فتح الراديو وسمع إعلانًا للشركة المُنتجة لها، ودون أن يذكر المذيع عنوان الشركة، فذهب هذا الأخ المبارك للإذاعة واستفسر عن العنوان، وذهب للشركة واشترى الآلة على حسابه الخاص وشحنها للدير. وبعد ذلك اتصل بأبينا أليشع في ألمانيا وأخبره بكل ما تم. فتعجب أبونا أليشع جدًا من يد إلهه

الصالحة عليه بالخير، وكيف يحقق له هذا الطلب المستحيل خلال يوم واحد فقط من طلبه!

+ مرة سافر مرة أبونا أليشع لإحضار أبقارًا مستوردة من ألمانيا من سلالات ممتازة لتهجينها بالأصناف البلدي، وأعطاه الألمان بذور بنجر كعلف للمواشي، وهي ثمرة تنمو عندهم ولا يزيد وزنها عن ٧ كجم، ولكن لمَّا تمت زراعتها في الدير نمت بطريقة فائقة، ووصل وزن الثمرة الواحدة أكثر من ٣٥ كجم، الأمر الذي جعل الدولة تتبنى زراعة هذا الصنف في آلاف الأفدنة، وينسبون نجاحه لدير الأنبا مقار، ولكن في الحقيقة فإن الجندي المجهول وراء هذا النجاح هو أبونا أليشع.

قدوته ومثاله

حيثما حل أبونا أليشع، كان مثالًا لسيده المسيح الوديع الذي لا يخاصم ولا يغضب ولا يسمع أحد في الشوارع صوته.

+ بينما كان مرة يسير في إحدى المدن الألمانية، إذ برجل يقابله وفجأة وبغير سبب أخذ يشتم ويسب أبونا أليشع بأقذر الشتائم، فعلم أبونا أن الشيطان قد أرسله ليجربه، ففي الحال أخذ يصلي في سره: «قدوس الله. قدوس القوي. قدوس الحي الذي لا يموت»، وكان تعليقه على هذه الحادثة: إن هذا الرجل قابلني بقوة الشر والشيطان الذي فيه، فلو أنا واجهته بنفسي لكنت انهزمت؛ ولكني قابلته بقوة المسيح الذي

فيَّ، فانهزم بمجرد ترديدي لاسم الله القدوس، دون أن ألتفت إلى ما يقوله، وفجأة وجدته تغير وانحنى على يدي يريد تقبيلها، واعتذر وتأسف لي بشدة متأثرًا باحتمالي له وعدم رد الشر بالشر.

+ وهكذا كان أبونا أليشع رائحة المسيح الزكية في بلاد الغرب التي يسودها الشر ورائحة الشرير النتنة. على أن سلوكه ومثاله المسيحي كان له تأثير كبير في الأقباط الذين يعيشون في الخارج، ويرون فيه مثال الراهب المتجرد العفيف المتواضع كسيده فيتعلقون به ويتأثرون بقدوته.

+ تصادف أن سافر مرة إلى أمريكا لشراء احتياجات للدير، وتعرف هناك على بعض الكهنة الأقباط الذين يخدمون هناك، وتحفظوا في البداية عندما عرفوا أنه من دير الأنبا مقار ... ولكنهم ما أن تعاملوا معه ورأوا في صورة المسيح الوديعة، حتى تغيرت فكرتهم تمامًا، وكانوا يتبارون في استضافته في بيوتهم وكنائسهم. وكلما حلَّ في كنيسة قبطية هناك كان يتكلم عن محبة الله للبشر وعن اختباراته الشخصية مع الله، ومعاملات الله اليومية مع أولاده الرهبان. حتى تعلق به الجميع ... ودون أن يطلب شيئًا كانوا يُساهمون بكل إمكانياتهم في تحقيق طلبات الدير.

وبعد فترة جاء إلى الدير بعض الكهنة والعلمانيين من أمريكا وطلبوا من أبونا أليشع أن يوافق على الخدمة في كنيستهم حتى يزكونه لدى الأب البطريرك، واعتذر لهم أبونا أليشع بلطف، إذ أن دعوته الرهبانية لا تتفق والخدمة الكنسية التي يختار لها الله كهنة متزوجين لهم خبرة في

رعاية الأسر. ولكن هذا يُظهر إلى أي مدى نجح أبونا أليشع في أن يكون قدوة بمثاله وسلوكه أكثر من كلامه.

شهادة أبونا متى عن أبونا أليشع

ويكفي أن أبانا متى المسكين كان يشهد له باستمرار وأمام كل الرهبان بأن الأب أليشع أخذ نعمة فائقة من الله حتى صار يؤثر في العالم والعالم لا يؤثر فيه. كما شهد عن تجرده قائلًا: [إن أبانا أليشع أعطاه الله كثيرًا من أموال الدنيا، ولكنه زاهد متجرد لا يبتغي شيئًا إلا وجه الله وحده، ولو أن العالم طرح كل كنوزه تحت قدميه لوطئها بقدميه!!] وأيضًا شهد عن طهارته وسط العالم والعلمانيين قائلًا: [لقد أثبت أبونا أليشع أنه مرتفع عن شهوات الدنيا ولا يستطيع الشيطان أن يغريه بكل إغراءاته وأهوائه لأنه مات حقًا عن العالم وكل ما فيه].

حفظ طهارته وسط معاثر العالم

+ ذكر أبونا أليشع لنا أنه في أول سفر له بألمانيا وفي طريق عودته للدير لم يجد مكانًا في الطائرة، فقرر السفر بالباخرة. وفي أول يوم خرج من غرفته وصعد إلى سطح الباخرة ليتنسم الهواء، فرأى مناظر استحت منه عيناه النقية، واقشعرت له نفسه الطاهرة، فكان غالبية ركاب السفينة من الأجانب، وكانوا يفترشون الأرض وهم شبه عرايا، يُعرِّضون أجسادهم للشمس، هذا في النهر؛ أما في المساء فكانوا يقيمون حفلات راقصة، الأمر الذي سبب له ضيق كبير، وكيف يحتمل هذا الجو المُعثر مدة

عشرة أيام، ولكن الله ألهمه، إذ صعد إلى منطقة مقدم السفينة حيث الماكينات، وهي منطقة ممنوع على الركاب الدخول فيها، ولكنه اختار خطر الموت مع الله ومن أجله على الحياة بدونه في هذا الجو المُعثر الخانق للروح. ولم يتنسم جو الحرية والنقاء إلا حينما وصل الدير.

+ وذكر مرة أنه كان في إحدى البلاد الأجنبية واضطره الأمر أن ينزل أوتيل لقضاء ليلته، وكان يحس أنه غير مستريح لهذا المكان، فاخذ يصلي أن يحفظه الرب ويُسيِّج حوله ملائكته. وما أحسه بقلبه حدث بالفعل، إذ أرسل له الشيطان امرأة شريرة لا تخاف الله، قصدته في غرفته، وبدأت تُظهر له نواياها النجسة لإيقاعه في الشر... أما هو، فإذ عرف أن إبليس هو الذي أرسلها، صلى في سره طالبًا معونة الرب وستره، ثم قال لإبليس بإيمان وشجاعة: [أتحداك إذا كنت تستطيع أن تفعل بي الشر الذي تقصده بإغراء هذه المرأة!]. قال ذلك ليس متجاوزًا طبيعة البشر الضعيفة، إنما واثقًا في قدرة الرب ومعونته له. ثم بدأ يُكلِّم تلك المرأة عن حياة الطهارة والقداسة والأكاليل المُعدة لها في السماء، ومحبة الله للخطاة وتجاوزه عن خطايا البشر... وأخذ يُشجعها ويُثني عليها أنها إنسانة مُباركة ومُختارة، والله قريب منها. فتأثرت تلك المرأة جدًا وتغيرت عن مقاصدها الشريرة، وتأسفت عمَّا فعلته في ماضي حياتها، ووعدت أن تعيش حياة العفة... فتهلل أبونا أليشع جدًا إذ انتصر في تحديه للشيطان الذي جرَّبه بتلك المرأة،

وحوَّلها لحياة الفضيلة. وكان تعليق أبينا أليشع على هذه الحادثة: "إنه لا ينبغي أن يتجرأ إنسان ويتحدى الشيطان في معقل الخطية، ولكن الهروب من أماكن الشر هو أسلم وأنفع وأكثر أمانًا". وهو ذكر هذه الحادثة لأنه دُفع إلى الفخ دفعًا بحيلة من إبليس دون أن يدري ما يُضمره له من شر.

+ وذكر أبونا أليشع أن الرب أنقذه من تجارب أخرى مُماثلة، وكان دائم التحصُّن بمداومة تلاوة اسم يسوع. وكان دائما يصلي في مغارته: [يا رب، أنا أحفظ وصيتك، وأنت تحفظني من كل شر]، وكانت يُردد على الدوام هذه الصلاة: [قدوس قدوس قدوس، قدِّسني يا قدوس]. فسر نصرته على تجارب الشر والشرير هو إنه كان يقدَّس حواس نفسه وجسده كل حين. ومرة قال لنا بالحرف الواحد وباتضاع شديد وبعد إلحاح: [إنني من كثرة تجارب العدو معي والتي تستهدف الطهارة، صرت أرى العثرة الشريرة في طريقي وكأني لا أراها، إذ أعبر عليها بعيني، وفكري مشغول عنها بالهذيذ بالله واسمه، فلا تتعلق بي أو تستثير فكري مُطلقًا، بل صرت كالطفل الذي تعبر أمام عينيه المعاثر التي للكبار، ولنقاوة طبيعته لا تؤثر فيه، وهذا ما يحدث معي، فإذا حدث ونظرت فجأة أشياء مُعثرة، فإن عيني لا تتعلق بها، بل تعبر أمامي بسرعة وكأنها أشياء ليس فيها عثرة، وإذا ذكَّرني بها العدو وحاول أن يُعرِّفني أنها كانت عثرة لأتأمل فيها، فلا ألتفت إليها قط، وأظل

أشكر الله وأتعجب من نعمته التي أعطتني أن أعبر على الأشياء المعثرة وأراها وكأني لا أراها].

وبالطبع لم يصل أبونا أليشع إلى هذه القامة الروحية إلا بعد أرضى الله بجهادات وصلوات كثيرة حتى تنقى قلبه من الميول والأهواء الشريرة، واستأمنه الرب على نعمته التي حفظته وسط معاثر العالم طاهرًا نقيًا، فصارت كل الأشياء له طاهرة نقية، إذ «كل شيء طاهر للطاهرين».

الديانة الطاهرة النقية

ذكر أبونا أليشع أن آيته المُفضلة في الكتاب المقدس قبل وبعد الرهبنة هي: «الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه افتقاد الأيتام والأرامل في ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم» (يع١: ٢٧). فعندما كان طالبًا كان يوزع غالبية مصروفه على الفقراء، وعندما بدأ يعمل كان يعطي لا من أرباحه فحسب ولكن من رأس ماله أيضًا.

أما بعد أن صار راهبًا فحكايته حكاية!! فمن المعروف أن الراهب ترك كل شيء ليهتم بالواحد، ولكن أبونا أليشع كان اعتقاده أن الله أيضًا يريد رحمة لا ذبيحة، وأن الرحمة بالفقراء واليتامى إنما هي لشخص الرب نفسه، حسب قوله: «بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي الأصاغر فبي فعلتم» (مت ٢٥: ٤٠). وعلى ذلك كم من بيوت أرامل عالها وكم من أسر سترها حتى استطاعت أن تشق طريقها في الحياة.

القصص هنا كثيرة والحالات لا حصر لها، وما نعرفه أقل جدًا مما لا نعرفه. على سبيل المثال: + أسرة فقدت عائلها في حادثة قطار، فتبنى هذه الأسرة روحيًا وماديًا حتى كبر الأولاد الصغار وانتهوا من دراستهم الجامعية، وهو الذي عيَّنهم في إحدى الشركات، حتى يعولوا بقية الأسرة.

+ وأسرة كاهن، انتقل وهو دون الأربعين نتيجة مرض عضَّال، فتبنى هؤلاء الأيتام، وفتح بيت الكاهن ثانية بمورد ثابت يُرسله إليهم كل شهر، واستمر يعولهم حتى كبر الأولاد وسعى أيضًا لتوظيفهم.

+ وكثير من بيوت الأرامل كان أبونا أليشع ملجأ لهم في ضيقاتهم، وأبًا لهم في رعايتهم. على أنه من النادر أن يدخل مساكنهم أو يتدخل في شئونهم العائلية... فعلى الرغم من تدقيقه في الوصية: «الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه افتقاد الأيتام والأرامل...»، إلا أنه كان متحفظًا ومُدققًا أكثر لبقية الوصية: «وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم». لذلك كان حينما يأتي إلى الدير يُسرع إلى الأب الروحي ويأخذ مشورته وإرشاده في كل شيء ويعمل بها بكل دقة، حتى تحفظه النعمة من أجل طاعته لأبيه. بل إن الأب الروحي كان يُشجعه أحيانًا على فعل الخير ويُرسله لسد احتياجات الأسر المستورة التي تُرسل لطلب معونة الدير.

+ ذات مرة حضر للدير شخص يعمل سائقًا مع أسرته، واستنجد

بأبينا أليشع بأن عليه ١٤ قضية محكوم فيها عليه إما بالدفع أو السجن، وهي مبالغ ضخمة تُعدُّ بالألوف... ومع ذلك سدد له أبونا كل مديونياته، وأُلغيت كل الأحكام الصادرة ضده، وتجدد رجاء الرجل بالله، وعادت الفرحة للأسرة لأول مرة بعد شهور طويلة. وحتى بعد ذلك كان هذا الرجل يأتي من حين لآخر يطلب المزيد من المساعدات من أبينا أليشع، فكان يعطيه بصدر رحب، ولم يكن يرده فارغًا قط، حتى أن أحد الآباء لاحظ ذلك وقال بغيظ لأبينا أليشع: "إن هذا الرجل مُحتال ويستغل طيبة نفسك وسخاءك، يا أبانا، فلا تعطهِ شيئًا"، فابتسم أبونا وأجابه قائلًا: [حينما يتوقف الله عن العطاء لي بما يحتاجه هذا الإنسان أو غيره، سأتوقف أنا بدوري عن العطاء... لأني لا أعطيه من مالي الخاص بل من غِنى الآب السماوي وسخائه].

+ ومن كثرة ما أسدى أبونا أليشع من خدمات وعطاء لكثيرين، كان لا يتذكر عمل الخير الذي عمله، ربما كان ذلك طبيعيًا أو بنوع من الاتضاع. على سبيل المثال: حضرت للدير ذات مرة أسرة مستورة وأخذت تشكر بحرارة في أبينا أليشع فهو قد ساهم بمبالغ كبيرة في تجهيز بناتهم للزواج، وعندما تم إبلاغه بأمر هذه الأسرة، كان ناسيًا تمامًا هذه الأسرة وما صنعه معهم!!

+ ولم تقتصر خدمات أبينا أليشع على البيوت المسيحية، بل الغير مسيحية أيضًا، بل إن عطاءه وخدماته عمَّ على العرب البدو الذين

اشترى منهم أرض الدير بالساحل الشمالي، فكان لسنوات طويلة يحضر لهم الهدايا الثمينة ويراعيهم في مواسمهم، وإذا احتاج أحد منهم إلى علاج أو عملية جراحية فكان يأخذهم بعربته الملاكي إلى مستشفي بالإسكندرية، ويقوم بالواجب خير قيام ويوصي عليهم الأطباء، وبعد ذلك يُعيدهم إلى منطقتهم الجبلية التي يسكنون فيها، وهم قد ذابوا خجلًا وعجبًا من هذا الراهب الذي صنع معهم كل هذه الخدمات الجليلة بحب ودون مقابل، لذلك كانوا يحبونه ويوقرونه من الشيخ إلى الحدث، ويظلوا يُرددوا هذه الحكايات لنا عندما كانوا يزورونا أو نتقابل معهم.

بيت كبير للطلبة المغتربين

استأمن أحد العلمانيين الأسخياء أبونا أليشع على مبلغ ضخم ليفعل به ما يشاء لخدمة أولاد المسيح، فبعد التفاهم مع الأب متى المسكين استقر الأمر على إنشاء صرح كبير ليكون بيتًا للطلبة المغتربين في القاهرة، يسع حوالي ٤٠٠ طالب. وقد تكلف بناءه عدة ملايين من الجنيهات، وصُمم على أفضل طراز معماري وجلب له أحدث المعدات والتي سافر لإحضارها من للخارج. وصار بيت الزيتون هو مُشتهى أي طالب مُغترب يأتي للقاهرة للالتحاق بالجامعة. ولم تقتصر الخدمة فيه على الناحية المعيشية فقط، ولكن هناك كنيسة يُقام فيها قداس يوميًا في الدور الثامن تسع الطلبة. ودائمًا كان يوجد كاهن مقيم يخدم هؤلاء الطلبة المُغتربين روحيًا. وكثير من هؤلاء الطلبة تأثروا جدًا من السنوات

التي قضوها بالبيت، ومن فضائل أبونا أليشع، حتى أنهم أضمروا أن يُكرِّسوا حياتهم للرب بعد انتهاء دراستهم الجامعية.

+ وما أن يسمع كل من له حاجة من الفقراء والمحتاجين أن أبانا أليشع موجود ببيت الطلبة حتى يذهبوا إليه، ويقفون في طابور طويل لمقابلته، وهو لا يضجر من أحد حتى ولو تردد كثيرًا، ولا يصرف أحدًا فارغًا.

ملجأ للفتيات اليتيمات

+ في سنة ١٩٩٤ استنجدت بأبينا أليشع إحدى الراهبات التي كانت تقوم بالإشراف على ملجأ لليتيمات باسم السيدة العذراء بالعجمي، حيث أن صاحب البيت أخذ حُكمًا من المحكمة بطرد هؤلاء البنات (وكان يُقدر عددهن بثلاثين فتاه من سن ١٠ سنوات إلى ١٨). وحاول أبونا أليشع إرضاء صاحب البيت بكل وسيلة ويدفع له المبالغ المتأخرة من الإيجار حتى مع فوائدها، ولكنه رفض بكل إصرار، رغم أنه يُدرك خطورة طرد هؤلاء البنات، فقد كان يريد أن يبيع البيت بأكمله، وطلب له مبلغًا كبيرًا جدًا (٣٥٠ ألفًا)، ورغم أن أبونا أليشع لم يكن معه شيئًا، إلا أنه بإيمان وافق على الشراء وجمع له من بعض الأحباء ١٢٠ ألفا وأعطاه للرجل كعربون، ووعده أنه خلال أسبوعين سيعطيه البقية، وبالفعل استطاع خلال هذين الأسبوعين جمع كل المبلغ واشترى البيت لحساب اليتيمات، اللائي لمَّا سمعن ذلك تحولت دموعهن إلى فرح وتسابيح وتماجيد الله. وبعد أن كن يستغلون شقتين

فقط من البيت، ومُهددين بالطرد منه، صرن يمتلكن البيت بأكمله (٦ شقق بحديقة كبيرة).

دير صغير لإيواء بعض الراهبات

+ وأيضًا في نفس سنة ١٩٩٤ نما إلى علمه أن هناك ٩ راهبات قد تركن ديرهن ولم يعد لهن مأوى، فسعى أبونا أليشع ، بعد استئذان أبينا متى وتوصيته، لإراحتهن في مكان أمين. وفعلًا هيَّأ لهن بمساعدة فاعلي الخير فيلا بثلاثة أدوار بحديقة واسعة في مكان هادئ، لتكون لهن بمثابة دير صغير، يُزاولن فيه جهادهن ونذرهن الرهباني بلا مانع، وأوصى أحد الكهنة الأتقياء لافتقادهن ورعايتهن الروحية.

وبعد، هذه هي الأعمال التي كانت ظاهرة ومكشوفة أمامنا، أما ما خفي وما لا نعلمه من أعمال رحمة فهي بالتأكيد أكثر من ذلك بكثير، ولا أعتقد أنه بمقدور إنسان الإلمام بها جميعها.

ومع ذلك، فهو لم يحسب نفسه ألا خادمًا وضيعًا للرب، يقول عن نفسه: [أنا أداة طيعة في يد الله لعمل الخير للجميع، والله يُسخِّرني لعمل إرادته لا إرادتي].

تذلله أمام الله من أجل عمل الخير

لقد اكتشف أبونا أليشع أن التذلل والانسحاق هما المفتاح الذي يفتح قلب الله. قال مرة: [إن الإنسان لكي يُحنِّن قلب الله، عليه أن يحتمل ظلم الآخرين له، وليس ذلك فقط، بل أيضًا أن يظلم نفسه

للآخرين، ويقبل منهم كل مهانة وتعيير وظلم مثل الرب يسوع]. وأكد ما يثبت ذلك من خبرته الشخصية، يقول: [في كل مشكلة أو ضائقة مادية أقع فيها، كنت أصلي حتى يتدخل الله من أجل إتمام عمله، ولمَّا يضيق الأمر عليَّ جدًا ولا أجد منفذًا، كنت أُحنِّن قلب الرب باختبار مارسته كثيرًا، وفي كل مرة كنت أنجح فيه باستمالة قلب الله وتدخله لحل كل المشاكل التي كانت تعترضني... وهذا الاختبار هو أنني أتصل بشخص غني جدًا وأيضًا بخيل جدًا، وأعرض عليه احتياجي، وأنا أعلم تمامًا ومُسبقًا أنه سوف يصدني وسيرفض مساعدتي، بل وسيؤنبني لدخولي في مشاريع وليس معي رصيد، وفي النهاية سيشتمني ويطردني من عنده...!]. وبالفعل هذا ما يحدث تمامًا... وبعد هذا أتذلل أمام الرب وأقول له: «تعييرات معيِّريك وقعت عليَّ» (رو١٥: ٣)، والعجيب أن الرب بعدما يرى أنني ظلمت نفسي للآخرين من أجله، ينظر إلى مذلتي، ويتحنن على ضعفي ويحل هذه الضيقة فورًا، ومن أوسع الأبواب!

ويقول أبونا أليشع إن هذا اختبره ليس مرة بل مرات كثيرة!!

لقد كان أبونا أليشع يؤمن بالله الذي يُسدد كل احتياجاته، كالمكتوب: «فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع» (في٤: ٩) وذلك سواء بالإقدام وثقة وجرأة الإيمان بالله القادر على كل شيء، أو باستمالة قلب الله باحتمال كل شيء من أجله.... وفي كل ذلك لم يكن يطلب شيئًا لنفسه سوى مجد الله ومحبة القريب، أيًا كان:

راهبًا أو علمانيًا، كبيرًا أو صغيرًا، غنيًا أو فقيرًا ... وفي ذلك يقول: [إن راحتي هي في راحة الآخرين، وسعادتي هي في سعادة الآخرين، مهما كانت المشقة التي أحتملها في سبيل ذلك].

تجرده وزهده في حطام الدنيا

اختبر أبونا أليشع حياة التجرد والزهد مبكرًا جدًا، منذ أن كان طالبًا، فمصروفه الكبير الذي كان يصله من والده كان يُفرِّق معظمه ويعيش بالقليل. ويذكر أحد الأشخاص المعاصرين له في هذه الفترة أنه حتى الملابس والأحذية الجديدة التي كانت الأسرة تُرسلها إليه، كان يتصدق بها على الطلبة الفقراء، ويكتفي هو بالقديم الذي عنده. وبعد أن صار راهبًا عاش فترة في صحراء وادي الريان حافي القدمين، وكان يشكر الله الذي أهَّله لنعمة الفقر الاختياري والتجرد من أجل اسمه. وظل على عهده بالتجرد والزهد عندما جاء إلى دير الأنبا مقار، إذ بالرغم من أن كثير من فاعلي الخير وثقوا به، وقدموا له مئات الألوف من الجنيهات لاستخدامها في مشاريع وتعمير الدير، إلا أنه لم يكن يمتلك لنفسه شيئًا قط، ولم يكن يتصرف في شيء لشخصه، بل كان يعتبر نفسه مُستأمنًا على مال الله، وأمين على نذر الفقر والتجرد الرهباني.

لم يكن يهتم أو يبالي أن جوارب القدم التي يرتديها ممزقة، وأن أصابع قدميه ظاهرة منها... وفي أثناء سفر أبونا مرة للخارج ومعه أحد الآباء لكي يُجري له عملية جراحية، لاحظ هذا الأب أن ملابسه الداخلية قديمة بل

مُتهرِّئة، ولم يشغل باله بتغييرها بأخرى جديدة، وخصوصًا أنه كان مسافرًا لبلد أجنبي!

+ ومن مظاهر تجرده أيضًا أنه حتى الهدايا الشخصية التي كان يهديها له العلمانيون كان يوزعها قبل أن يدخل قلايته، وإن كانت ذات قيمة كبيرة يُسلِّمها لمدبر الدير ليتصرف فيها بمعرفته، أما هو فيدخل قلايته، الممتلئة نعمة (كما كان يسميها) حرًا، خالي اليدين.

+ قال لنا مرة: [إنني حينما ألمح شخصًا يريد أن يأخذ مني شيئًا مهما كان ثمينًا، أتركه له في الحال، ولا أتردد في ترك كل شيء من حطام هذه الدنيا، لأني لا أطلب إلا ملكوت الله ووجه الرب يسوع... بل حتى مجرد أن يخطر بفكري أن هذا الشخص يريد أن يأخذ مني هذا الشيء أو هو محتاج إليه، أقوم وأقدمه إليه ولا أنتظره أن يأتي هو إليَّ ويطلبه مني أو يتحايل في أخذه].

الوديع الذي لا يخاصم ولا يصيح

+ حدث مرة أن أبانا أليشع كان سائرًا بعربته الملاكي الصغيرة في إحدى طرق القاهرة الرئيسية، وكسر عليه خطأ أحد سائقي السيارات مما أصاب عربته بتلفيات بالغة، فبكل هدوء أخذ أبونا جانب الطريق ونزل ليرى ماذا أصاب عربته، وجاء إليه سائق العربة التي صدمته وأخذ يعتذر ويتأسف من خطأه ومتعهدًا بإصلاح أي خسائر ... أما أبونا أليشع فابتسم له بوداعة وهدوء وغيَّر الموضوع تمامًا وكأنه لم يُصبها شيئًا.

وسأل سائق العربة عن مكان الشارع الذي يريد الذهاب إليه ولا يعرف أين هو، فوصفه السائق وهو في ذهول من طيبة وجمال هذا الشخص.

+ ذات مرة جاءت عربة كبيرة لإحدى الشركات من الاتجاه العكسي للطريق الصحراوي بطريق الخطأ، وصدمت عربة الدير وحطمتها تماما، ونجا السائق والتباع بأعجوبة، ولما قبض المرور على السائق الذي كسر قانون المرور وعمل الحادثة، أخطر البوليس الدير بالحادثة، فذهب أبونا أليشع وعرف ملابسات الحادث وخطأ سائق الشركة الجسيم، ووجد أنه محبوس منذ ٣ أيام على ذمة التحقيق، ولا يمكن أن يخرج إلى بعد دفع الكفالة، والتي لم تسعَ شركته لدفعها، قام أبونا أليشع ودفع مبلغ الكفالة وأخرج الرجل من الحبس وقدَّم له مبلغ من المال من أجل أسرته، وسط تعجب الرجل وضباط وعساكر القسم.

+ ذكر صديق لأبينا أليشع أنه كان مره يركب بجانبه في عربته الملاكي، وعند إشارة المرور الحمراء وقفت العربة بجانب الترام والذي كان يقف على سلمه شخص مُلتحٍ، وحينما رأى أبانا أليشع بثوبه المميز كرجل دين، بصق بقوة على وجه، فما كان من أبينا أليشع إلا أن صمت باتضاع ومذلة وأخرج المنديل بهدوء ومسح البصاق من على وجهه.... فلما لاحظ الأخ الصديق الجالس بجواره ما حدث ثار بغضب وقال: "لابد أن أمسك هذا الإنسان الوقح وأسلمه للبوليس ..." إلا أن أبانا هدَّأ خاطره قائلًا: [لا لم يحدث شيء إطلاقًا، وأنا سامحته والرب

يسامحه!!]. ويقول أبونا أنه بعد ذلك تذكر العبارة التي في القداس الغريغوري: «لأجلي يا سيدي، لم ترد وجهك عن خزي البصاق». فابتهج وتهلل ثم رفع وجهه إلى السماء، وصلى بشكر قائلًا: [أشكرك، يا رب، لأنك جعلتني أهلًا أن أشاركك خزي البصاق واحتمله من أجلك، يا من سبقت واحتملته أنت من أجلي].

ويذكر أبونا أليشع أنه بعد هذه الصلاة مباشرة غمرته سعادة وفرحة روحية عظيمة ليست من هذا الدهر، وكان في حالة اختطاف ودهش وكأنه في السماء وليس على الأرض.

+ نذكر هنا حادثة أخرى تبين قدرة أبونا على احتمال الإساءة، ولا سيما إذا جاءت ليس من عدو أو غريب، ولكن من صديق قريب:

+ كان لأبينا أليشع صديق حميم، كلَّفه بعمل مشروع خيري، وللأسف تدخل عدو الخير وجعله يشك في أمانته في هذا العمل، وأهانه إهانة بالغة بكلمات صعبة وافتراء ظالم، وأبونا صامت لا يتكلم ولا يرد ولا يفتر من الصلاة لأجله سرًّا، وبعد ذلك تركه هذا الأخ غاضبًا... وبعد فترة تحقق في الموضوع، وظهرت له براءة أبينا مما نسبه إليه ظُلمًا... فندم جدًا على ما بدر منه من اتهامات وكلام جارح، فرجع إليه نادمًا متأثرًا جدًا من احتماله له، وظل يتأسف مدة طويلة قائلًا: "سامحني ... سامحني ... كيف حدث هذا؟ أنا متأسف..". فقال له أبونا: [أنا سامحتك منذ أن فارقتني، ولم أحمل في قلبي لك

إلا كل مودة وحب...]. فتأثر ذلك الأخ أكثر، وقال له: "ولماذا لم تدافع عن نفسك وترد الإهانة عنك، وأنت تعلم أنك بريء"؟! فقال له أبونا: [لأن المسيح ربنا ظُلم وهو بريء، احتمل ولم يفتح فاه]. فظل هذا الأخ يبكي مُتهدجًا في كلامه وهو يحتضن ويقبل أبانا أليشع. ومنذ تلك الحادثة صار هذا الأخ صديقًا وفيًا لأبينا بل خادمًا أمينًا يقدم كل خدمة باتساع قلب دون تردد.

+ وهذه قصة أخرى تُظهر سموًا أكبر في فضائل أبونا أليشع. فقد يحتمل إنسان إهانة، طالما ليس هناك خسارة؛ ولكن أن يقبل سلب أمواله بفرح، فهذا هو العجب العُجاب، هذا أمر نادر الحدوث.

مرة بينما كان أبونا أليشع يحضر بعض طلبات الدير في القاهرة، ركن عربته أمام عمارة، وبعد أن قضى عمله وشرع في الخروج منها ليركب العربة، أخذ البواب يتلفظ بكلمات نابية وجارحة على أبينا أليشع، فاخرج له أبونا مبلغًا كبيرًا من المال ليُرضيه، فزاد طمع الرجل، وقال لأبينا متوعدًا ومُهددًا: "إن الذي يقف هنا لابد أن يدفع كيت..." وطلب ثلاثة أضعاف المبلغ الذي أعطاه له أبونا ... فما كان من أبينا إلا أن صمت لحظات متفكرًا في الأمر، وقال: [لقد خطر على بالي أولًا أن هذا الرجل لا يستحق شيئًا قط، فهذا الموقف عمومي، ثم أنه أظهر لي شرًا وطمعًا بلا سبب، وممكن أن لا أعطيه شيئًا وأصرفه فارغًا بسبب طمعه]، ولكن قلت أيضًا في فكري: [ولكن ماذا تقول وصية

الرب في هذا الموقف؟ تقول: «كل من سألك فأعطه. ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه» قلت لنفسي: إذًا فلنترك منطق العقل البشري ولننفذ وصية الرب]. وبالفعل فإن أبانا رضي بأن يعطيه ليس ثلاثة بل أربعة أضعاف ذلك المبلغ أيضًا، حتى أن الرجل ذُهل من هذا السخاء البالغ الذي لم يتوقعه، وفي الحال تغيرت أساريره من إنسان غاضب ساخط لإنسان وديع مسالم، وظل يعتذر لأبينا ويغمره بعبارات الشكر والثناء والبركة... وتعجب أبونا جدًا من قوة تأثير وصية الرب في تغيير الذئاب إلى حملان. وكان تعليق أبونا أليشع على هذا الموقف هو: [إن العقل والمنطق البشري كثيرًا ما يقفا حجر عثرة في طريق الإيمان وتنفيذ وصية الرب، ولكن إذا تجاوزناهما وتبعنا الوصية، سنرى العجب في تحول الوحوش الكاسرة لحملان وديعة].

صانع سلام

كان سلام الله الذي يفوق كل عقل يملأ حياة أبينا أليشع، فهو مُتصالح مع نفسه ومع الآخرين، لا يُضمر عداوة لأحد، لا ينحصر في أي ضيقة أو مشكلة تواجهه، يثق بإلهه أنه لا يدعه يُجرب فوق احتماله، فهو المتكفل به وبالخدمة التي كلَّفه بها، فلماذا إذن الاضطراب والقلق والهم؟! ولأنه كان ممتلئًا من السلام الإلهي؛ فكان يفيض به على كل من حوله. ذكر لنا مرة هذه المقولة لأحد القديسين: [عِش في سلام الله، والذين حولك يخلصون]. ويذكر أحد الآباء القريبين

منه: [أنه حينما أكون في تجربة أو ضيقة، ويحدث أن أتقابل مع أبينا أليشع ولو مُصادفة ـ حتى دون أن أكلمه ـ أمتلئ راحة وسلامًا وعزاءً].

+ ذات مرة ذهب لمقاول كبير له معرفة به يطلب منه معدة معينة لتعمل بالدير فترة محددة، فوجده في خلاف مع أخيه المقاول وشريكه في نفس الوقت، وكان منفعلًا جدًا ويُكلمه بكلام صعب، فلما وجد أبونا الأمر هكذا ، صمت ولم يطلب شيئًا منهما... أما هما فلما انتبها لحضوره سكتا في الحال، وقال له المقاول الكبير: "مجيئك بركة يا أبونا، هل تريد شيئًا؟" فأجاب وقال: "لا، أنني كنت أمر من هنا، فقلت أن أسلِّم عليكما، فلما سمعت الخلاف بينكما، فجئت لأصلح بينكما". وظل أبونا أليشع يكلمهما عن المحبة الأخوية والوفاق والسلام حتى تصالحا، وأراد الرجل أن يعطي لأبينا أليشع شيئًا يحتاجه الدير، ولكنه امتنع وقال أننا لسنا في حاجة إلى شيء الآن... وبالطبع فعل هذا لئلا يظنا أنه أصلحَ بينهما لأجل مصلحته، فهو لم يكن يلتفت أبدًا إلى الأمور المادية بقدر خلاص النفس وتصالحها مع الله والآخرين.

+ وفي الحقيقة، كان لأبينا أليشع قدرة روحية عجيبة في تصالح الأسر المنقسمة ولم شملها وإعادة المحبة والسلام بينها، سواء بالصلاة من أجلهم والصلاة معهم، أو بكلمات المصالحة التي يضعها الرب على لسانه. وفي محبته للسلام والصلح بين الناس كان لا يبالي بنفسه ولا بشخصه ولا بوقته. ففي ذات مرة قابله شخص مرموق في الطريق وتوسل

إليه أن يأتي إلى منزله ليرد زوجته الأستاذة الجامعية عن طريق الضلال، فذهب معه، وبذل كل سعيه ووقته وجهده من أجل خلاص هذه الأسرة.

+ ومرة أخرى توسط إليه تجار غير مسيحيين من أجل تاجر مسيحي له دين كبير على تاجر مسيحي آخر، ولمَّا لم يُسدد الأخير الدين الذي عليه رفع عليه قضية ودخل السجن، فتوسل التجار ليصلح بينهما حتى يخرج المسجون إلى بيته وأولاده، وبالفعل أخذ أبونا صاحب الدين وذهب به إلى المديون داخل السجن، وكان منظرًا عجيبًا للمساجين أن يروا راهبًا في السجن، ولكن أبونا لم يُبالِ بنظراتهم، وأصلح الطرفين المتنازعين، وخرج وهو يشكر الله الذي أهَّله لتكميل الوصية: «كنت مسجونًا فزرتموني»

وداعته

إن الوداعة سِمة مميزة جدًا لأبينا أليشع، تنظر إليه وتحدثه كأنك تعامل طفل صغير بريء. وهو للأسف أُسيء فهمه في كثير من الأمور، واحتمل إساءات وانتقادات لا حصر لها، وكان في كل المواقف يقف صامتًا وديعًا كالحمل لا يدافع عن نفسه أمام المُسيئين إليه، ولا يقول في حقهم إلا كل خير، ويستمر في حبه لهم واختلاطه بهم وكأنه لم يحدث شيء.

سأله أحدهم: لماذا لا يدافع عن نفسه؟ لماذا لا يشرح موقفه؟ لماذا لا يُظهر حقيقة الأمور؟! فرد بكل هدوء ووقار: [إذا فعلت هذا فلن أشارك

يسوع الذي ظُلم ولم يفتح فاه، ولن يكون هناك صليب لأحمله معه].

ولم يكن يُفترى عليه ويُساء فهمه ويُنتقد في غيبته فقط، بل أحيانًا كان يُنتهر علانية وجهًا لوجه. ذات مرة نال توبيخًا قاسيًا لمدة تزيد على الساعتين، وهو واقف صامت، لم يُجادل فيها أو ينطق بكلمة، بل كان فقط يومئ برأسه، كأنه كان يستحق كل ذلك، وأحيانًا كان يبتسم ابتسامة خافتة، وكأن كل ما ناله كان ربحًا له.

قال مرة: [إنني حينما أرى الذي أساء إليَّ غاضبًا حزينًا أضحك في نفسي وابتسم قائلًا: [لماذا هو حزين وغاضب، مع أنه الأقوى والمُسيء إليَّ، وينبغي أنا الذي أحزن وأنفعل؟! وبهذا الفكر أرى المُسيء إليَّ وكأنه ممثل بارع يمثل عليَّ بانفعال وهمي فأبتسم وأسكِّن قلبي بالهدوء].

في الحقيقة لقد كانت التجارب التي لحقت بأبينا أليشع مُرة، وكانت تعصره عصرًا. وكان تعليقه في مرات كثيرة: [إن الرب يقصد من تجاربي أن يُحصِّني بروح الاتضاع وعدم الافتخار بشيء مما صنعته من الخير لأجله].

+ ومرة قال: [إن الخير الذي نعمله لابد أن يتبعه تجربة. والتجربة هي حمل الصليب. فإن أردت أن تصنع خيرًا فلابد أن تحمل الصليب وتتبع الرب حتى الموت، موت الصليب... لأن رب المجد صنع كل الخير لليهود فصلبوه. وهذه هي مكافأة كل من يتبع درب الرب ويصنع خيرًا لبني البشر، أنهم يصلبوه! أما مكافأة الصليب فهي مجد أبدي وإكليل لا يفنى من يد رب البشر].

خبرة التسبيح

+ قال مرة [إنني اختبرت أن أقوى شكر وتسبيح لله يخرج من شفاهنا هو ذاك الذي نُسبح به الله وسط أشد التجارب والضيقات. إن هذا التسبيح يهز أركان السماء ويفك كل ضيقة، كما كان بولس وسيلا يُصليان ويُسبحان وهما في السجن والقيود... فكان أن أبواب السجن انفتحت وانفكت قيود الجميع. هكذا الشكر والتسبيح يُطلق يد الله لإنهاء هذه الضيقات وحلها].

+ ولعل أوضح خبرة عملية في هذا الأمر هو ما حدث معه في يناير ١٩٧٣ حينما كان عائدًا للدير بعربته ومعه القس إشعياء المقاري، ولإجهاده ترك قيادة عربته لأحد الإخوة الذي كان معه، وجلس هو في الخلف، وفجأة حدث تصادم مُريع لعربة الآباء وعربة جيش كانت مُعطلة وواقفة في منتصف الطريق وبلا إضاءة، فتحطمت تمامًا عربتهم وأصيب الأب إشعياء بنزيف في المخ، وكان الدم ينزف منه بغزارة، كما أُصيب الأخ السائق إصابات بالغة، أما أبونا أليشع فكانت إصابته في قدميه. وحاولوا إيقاف عربة لنقلهم للقاهرة لإسعافهم، وللأسف لم تقف لهم أي عربة، أما أبونا أليشع فكان رد فعله العجيب هو الشكر والتسبيح لله بكل قلبه على ما حدث، وأخذ يقول مزامير الساعة التاسعة التي تتكلم عن التسبيح والتهليل لله، ولم يتوقف عن هذا التسبيح حتى وهو يقيس نبض أبينا إشعياء ويحسه أنه يخفت قليلًا قليلًا حتى أسلم الروح.

+ ولم ينسَ أبدًا أبونا أليشع هذه الحادثة وهذا الاختبار الإيماني، وذكره لنا أكثر من مرة، كيف أنه قابل الموت بالتهليل والتسبيح لله. ومنذ ذلك الحين ارتفع عنه خوف الموت إذ أخذ نُصرة عليه.

+ كان له في نفسه حكم الموت: يومًا ما كان في ألمانيا وفي الطريق السريع تعطلت السيارة ودرجة الحرارة تحت الصفر بكثير جدًّا خرج من السيارة يشاور للعربات والكل سريع ولا أحد يتوقف وبدء يشعر أن البرد الشديد بدأ يجمِّد جسده فدخل داخل السيارة وبدأ يصلي ويقول: خلاص يا رب ما دام إرادتك أن أموت أنا موافق هناك شهداء ماتوا حرقًا وأما أنا فأموت مجمدًا فلتكن مشيئتك وظلَّ يصلي وإذا بعربة تقف بجواره وتسأل هل هناك شخص داخل العربة، وكان شخص محب أخذ أبونا بسرعة وأنقذه من الموت متجمدًا.

بساطته الطفولية

+ إن أبانا أليشع يحمل قلب طفل، ويتحلى بكل بساطة الطفولة وبراءتها. الطفل في ثقته بأبيه يأخذ منه ما يشاء بسخاء، ويعطي من يشاء بنفس السخاء. وهذه هي ثقة إيمان أبينا أليشع بالآب السماوي. فهو في ثقته بالله يطلب ويُعظِّم الطلب، ولا يشك في قلبه أنه سيخزى، ثم عندما تُستجاب طلبته وينال بُغيته، يوزع ما أخذه بنفس السهولة والبساطة التي نال بها.

+ كذلك الطفل لا يعرف الكراهية نحو أحد قط، وإذا أساء إليه

أحدهم، لا يعرف أن يغضب عليه، مهما كانت إساءته بالغة، ولا يعرف أن يدافع عن نفسه ليوقف المُسيء عند حده، بل يصمت وفي هدوء يبتسم للمُسيء ويعتذر إليه بمحبة خالصة، ثم يعبر بهدوء وكأن شيئًا لم يحدث. ذات مرة قال: [إنني أحيانًا كثيرة أسمع عن مذمة واغتياب البعض لي، وحينما كنت أتقابل معهم أنسى تمامًا ما قالوه في حقي، وأعاملهم بكل نقاوة المحبة وبساطة القلب].

+ وبساطة قلبه هي التي جعلته يوقف عربته وسط شوارع القاهرة ويحمل قفة ثقيلة كانت تحملها امرأة عجوز على رأسها، فيقوم هو ويأخذها منها ويضعها في عربته ويدعو المرأة لتوصيلها إلى حيثما تريد، ثم يقوم ويعطيها صدقة. وكان تعليقه على هذه الواقعة: [من يدري، ربما هذه المرأة الفقيرة هي ملاك الرب أرسله الله ليُجرِّبنا بعمل الرحمة!]

+ أما إذا رأيته وسط الأطفال، فإنك تقول إنه "طفل بين الأطفال" يحبهم ويحبونه. كانت هناك صفات مشتركة بينه وبينهم تجعله سريع الألفة والتآلف معه. تجده يحمل في عربته دائمًا الحلوى والشيكولاته من أجل الأطفال الذين يتقابل معهم، حتى ولو كانوا غرباء ولا يعرفهم.

+ ذات مرة كان يسير بعربته فرأى بعض الصبية يتراشقون بالحجارة كنوع من اللعب الصبياني، فنزل وفضَّ نزاعهم، ووزع عليهم حلوى، فنسوا كل شيء، وتلاهوا مع هذا الغريب الطيب، صاحب الحلويات!!

+ مرة كان بالدير، وكان مزمعًا في الغد أن يذهب لعمل عملية فتاق، والذي كان يؤلمه جدًا، بسبب اتساعه وتأخره في عمل العملية. ثم سمع أن أسرة صديق بالمضيفة تريد مقابلته، فنزل من قلايته متحاملًا على نفسه من الألم، وقبل أن يصل للمضيفة، كان أطفال هذا الصديق من محبتهم له يجرون نحوه بملء الشوق والفرح وكأنهم وجدوا أخيرًا أعز صديق، وأخذوا يُلقون بأنفسهم عليه ويعانقونه ويُقبلونه بسعادة غامرة، والأعجب من ذلك هو أن أصغر طفلة فيهم تعلقت به ولم تتركه إلا بعد أن حملها على ذراعيه مسافة كبيرة وهو متألم جدًا حتى وصل إلى والديها! وعندما لُمناه على بذل هذا المجهود، قال: [المحبة تحتمل كل شيء]!

+ ومرة حضرت أسرة تعرف أبانا أليشع، وكان غير متواجد بالدير آنذاك، وصمم طفلهم الصغير على رؤية أبينا، فسأله المسئول: هل أنت تعرف أبونا، يا حبيبي؟ فأجاب: طبعًا، إنه صديقي! فسأله الأب: وماذا تريد أن تقول له؟ أجاب: أريد أن أقول له: كيت وكيت... وروى بعض مشاكله وسط عائلته وإخوته... وفي نهاية الحديث، سأله ماذا تتمنى أن تكون عندما تكبر؟ أجاب: أتمنى أن أكون راهبًا مثل أبينا أليشع لأحب الله وأصلي من أجل الناس وأخدمهم!!!

من تسجيل صوتي له بعد إحدى رحلاته للخارج:

[هي رحلة عجيبة جداً... تعلمون أني سافرت ولم يكن معي مال، فقط ٢٠٠ جنيه إسترليني، وبعض العناوين. ركبت الطائرة ونزلت في لندن، ولم أكن أعرف أين سأقيم، فتذكرت أسقف روسي زارنا بالدير وتعرفت عليه، فبحثت عن عنوانه وذهبت إلى الكنيسة الروسية هناك، جميلة جداً، ولكن للأسف لم أجد أحداً هناك، فأخذت أتمشى قليلاً بالشارع، وسمعت صوت ترنيم، فوجدت كنيسة أخرى وقرعت، فوجدتهم يتمرنون على ترتيلة ليوم الأحد، فأخبرتهم إني أنا من مصر وأريد أن أنزل بمكان تابع للكنيسة، فأخبرني شخص نحن لا نملك مكاناً، ولكن يوجد كنيسة سانت أغسطين، هناك يستطيعون توفير إقامة، فذهبت هناك وقرعت الباب فخرج لي قسيس، فأخبرته أنا راهب من دير أبو مقار، وجئت لهنا لعمل صغير وأريد أن أقيم بمكان مؤقت هذه الأيام... فرحب بي، أخذني عنده، وقدم لي طعاماً، كنت جوعان جداً. ورأيت عندهم راهباً متوحداً يعيش في كوخ بين انجلترا واسكتلندا، وكان نازلًا لندن لتأدية خدمة معينة، وأخذنا نتكلم كلامًا روحيًا، ويسألني عن الرهبنة والوحدة والدير... إلى أن وجد لي القسيس مكاناً أسكن فيه، وكانت حجرة بمفردي بسعر ٥ جنيهات بالطعام، وهو سعر زهيد جداً، حيث أن سعر الحجرة بلندن أكثر من ٦٠ جنيهًا، بل وفَّر أيضاً سيارته الخاصة بالسائق لكي أعمل بها مشاويري. وبعد ذلك

ذهبت إلى أمستردام بهولندا، والرب أرسل لي شخصاً قبطيًا هناك، انتظرني في المطار، وأخذني لأبحث عن بقر للحظيرة لأبينا باخوم وزرت مزارع كثيرة، وفي آخر اليوم، الرب رتب أن أتعرف على شخص مسيحي صاحب لوكانده، وهو طيب جداً ومحب للكنيسة، وقد سبق له أن زار الدير، ومكثت عنده. وهناك عرَّفني على شخص عنده عربة قلَّاب جديدة، وصمم أنه يعطيها لي بثمن مغري، ولمّا طلبت أن يشحنها لنا إلى مصر، .قال إن الشحن غالي، والأفضل أن نضع داخلها سيارة أخرى ونخصمها من الشحن، ووافقت واخترت عربة أخرى صغيرة، كل هذا وأنا لا أملك شيئاً على الإطلاق، وكنت أثق بأن الله لن يتركني أُفتضح بأن أشتري أشياء ليس معي ثمنها، فكلمت صديقاً لنا، فقال أنه سيرسل المال اللازم.

ثم بعد هذا سافرت بالطائرة إلى ميونخ بألمانيا، وانتظرني بالمطار شخص معرفة لأحد الآباء بالدير، وهو صاحب فندق شيراتون، وذهب بي إلى غرفة فخمة جداً، وقال لي: هذه حجرتك، فقلت له: أنا لا أستطيع أن أمكث في مثل هذه الأماكن، ابحث لي عن دير أو مكان قديم، فأنا غير متعود على هذه القصور، فضحك الرجل وقال: هل تخشى المصاريف، أنت ضيف عندنا، ومع إلحاح الرجل قبلت. وأخبرت الرجل أني أريد أن أشترى بقرًا للدير، وفعلًا أرسل لي عربة وذهبت إلى دير سانتو إكيليا يربون عندهم حيوانات، وهو دير كبير جداً

به ٣٠٠ راهب: ١٨٠ بالدير، و١٢٠ خدمة في أفريقيا وأسيا تبشير، والمائدة عندهم مثلنا، فبينما هم يأكلون يقوم واحد منهم بقراءة فصول من الإنجيل... ثم اتفقت معهم على شراء أنواع معينة من البقر عندهم، وكنت في احتياج إلى طبيب بيطري للكشف على البقر قبل ترحيله للدير، مع العلم إن أجر أي طبيب ألماني مرتفع جداً، فوجدت هناك أحد البيطريين المصريين الذين كانوا يدرسون، والرجل ترك عمله ودراسته لعدة أيام وذهب معي وكشف على البقر، وطبعاً لم يأخذ فلوس. بقى أن ندفع ثمن البقر، فاتصلت بأحد الأصدقاء، وأخبرته باحتياجنا، فقال لي: هل عندكم مبلغ معين من المال؟ قلت له: بصراحة أنا لا أملك شيئاً! وبمحبة شديدة قام الرجل بتحويل كل المال المطلوب، ووصل البقر للدير قبل وصولي أنا...

بالحقيقة كان ذهني وقلبي وروحي بالبرية طوال الرحلة، وكأني لم أغبْ يوماً عن الدير، وعندما رجعت لم أشعر أني تغيبت عن الدير وكأني لم أسافر!! ما أن وصلت مطار القاهرة حتى شعرت بالحرية، كأني شخص نَفَسَهُ مكتوم في تلك البلاد...].

كلمات بعض الآباء إخوته وأبنائه وأحبائه

نياحة أب فاضل

+ «اكْتُبْ: "طُوبَى لِلأَمْوَاتِ الَّذِينَ يَمُوتُونَ فِي الرَّبِّ مُنْذُ الآنَ".
"نَعَمْ" يَقُولُ الرُّوحُ: "لِكَيْ يَسْتَرِيحُوا مِنْ أَتْعَابِهِمْ وَأَعْمَالُهُمْ تَتْبَعُهُمْ"».

ذهبتُ إلى برية وادي الريَّان في يناير سنة ١٩٦٦، لأبدأ حياة جديدة في طريق الرهبنة مع أبينا المتنيِّح القمص متى المسكين، وتسعة من الآباء الرهبان الأجلاء تلاميذه الذين قرَّروا أن يُرافقوه إلى ذلك المكان القفر المنعَزل تمامًا عن العالم؛ وذلك ليعيشوا معًا حياة الوحدة، ويختبروا ما اختبره آباء الرهبنة الأوائل الذين خرجوا من العالم في القرون الأُولى من المسيحية حُبًّا في الرب يسوع المسيح الذي قال: «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي» (مت ١٦: ٢٤).

وكان أولئك الرهبان التسعة قد سبقوني في الخروج من العالم إلى تلك البريَّة القفرة منذ عام ١٩٦٠. وكان آخر مَنْ انضمَّ إليهم، بعد أن استطاع الفِكَاك من كل ارتباطاته، وهو بعد في ريعان شبابه، الأخ الحبيب "أمين نجيب"؛ تاركًا وراءه كل ما كان يتعلَّق به من أُسرة موسرة، ومسئولياتٍ وتجارةٍ رابحة، وشبابٍ مُنفتحٍ، ومُستقبلٍ واعدٍ، حُبًّا في المسيح الذي أحبَّنا أولًا، وأحبَّنا فضلًا.

كانت كل الجماعة التي سبقته قد عزموا على أن يبقوا معًا كجماعة ارتبطت بالمحبة مع أبيهم الروحي، يحدوهم الشوق نحو التعمُّق في حياة

الحب الإلهي والصلاة الدائمة والدراسة في كلمة الله والحياة بموجبها، في اختبار المبادئ الرهبانية في أعمدتها الثلاثة: الفقر والعفة والطاعة.

كُنَّا في شبابنا مُمتلئين حماسًا للسعي معًا نحو النمو في محبة بعضنا بعضًا بقلوبٍ مُمتلئة بالفرح، لا نصبو لشيء إلاَّ بأن نُرضي الله الذي تركنا كل شيء من أجل الالتصاق به واللهج في وصاياه. وكان أبونا أليشع هو أقرب المقرَّبين إليَّ والذي كان قبلي في الانضمام إلى الجماعة.

وكان أغلب الجماعة يعيشون في مغارات مُنفردة مُتباعدة، يُمارسون حياة الوحدة طوال الأسبوع في مغاراتهم. أمَّا نحن الذين جئنا مؤخَّرًا، فقد كُنَّا نتعاون معًا في خدمة المجمع في الأعمال التي تحتاج إلى التعاون من حيث إحضار الماء من البئر البعيدة عن المغارات، حيث إنَّ هذه المغارات قد حفرها بعض الآباء الأشدَّاء في الصخر في الهضبة العالية المحيطة بالوادي المنخفض. وكان هذا الوادي به عيون من الماء القليلة الملوحة. وقد زُرِعَت هناك بعض الزراعات النافعة لنا والتي تحتاج إلى الرعاية والسقي. كما كُنَّا نتعاون أيضًا في صناعة العجين وخبزه، وأيضًا في جمع الحطب من الشجر الذي كان ينمو في الوادي والذي كان يحتاج إلى تعاون الجماعة كلها على فترات مُتباعدة. وفي يوم الأحد كُنَّا نتعاون في عمل القربان وتجهيزه وخبزه، وفي إقامة القدَّاس الإلهي والاشتراك في التناول من الأسرار المقدَّسة.

وكان أبونا الروحي يأتي عادةً من مغارته كل مساء للجلوس في وسطنا، ليُلقي علينا كلمات التعزية والتأمُّل في كلمة الله. كما كُنَّا، بعد التناول يوم الأحد، نشترك معًا في مائدة الأغابي، ونقرأ في بستان الرهبان وسِيَر القدِّيسين وأقوالهم.

وبعد أن مرَّ على الجماعة كلها، منذ بداية مجيئها إلى وادي الريان، ما يقرب من عشر سنوات، وبعد أن أقمنا قدَّاسات الصوم الكبير وطقس أسبوع الآلام، وصلَّينا معًا ليلة عيد القيامة؛ قرَّر أبونا الروحي السَّفر إلى القاهرة للعلاج بعد أن توعَّكت صحته، وكان ذلك في شهر أبريل سنة ١٩٦٩.

وبعدما يقرب من أسبوعين على سفره، فوجئنا بالقافلة التي كانت تأتي إلينا عادة مرَّةً كل شهر؛ قد أتت، ولاحظنا أنه قد حضر مع القافلة اثنان من الإخوة الأحباء قادمين برسالة صوتية مُسجَّلة بصوت أبينا الروحي. وقد أُخبرنا بأنه قد تمَّت مُقابلة أبينا الروحي لقداسة البابا كيرلس السادس، وقد اتفقا معًا على انتقالنا إلى دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون، وذلك بعد اتفاق قداسة البابا كيرلس مع نيافة الأنبا ميخائيل مطران أسيوط ورئيس الدير؛ ثم مُقابلة الأب متى المسكين مع نيافة الأنبا ميخائيل؛ ثم تقابُلهما معًا مع قداسة البابا.

ووجدنا أنَّ أبانا الروحي قد أرسل في الشريط المسجَّل ترتيب نزولنا جميعًا على دفعتين إلى القاهرة في نفس يوم وصول القافلة لمقابلة

قداسة البابا كيرلس السادس في المقر البابوي بالكنيسة المرقسية في صباح اليوم التالي؛ وذلك لتغيير شكلنا لنُنسَب لدير القديس أنبا مقار، ثم الذهاب بعد ذلك لزيارة الدير، ثم الرجوع إلى وادي الريان للبقاء به فترة لأخذ كل ما تركناه هناك من مُتعلِّقات وشحْنه في حافلة ضخمة، قد رتَّبها الأب أليشع عن طريق بعض معارف أُسرته مِمَّنْ يعملون في شركة من شركات البترول؛ وذلك لتوصيلها إلى دير القديس أنبا مقار مُباشرةً. وهكذا، بعد أن أكملنا هذه المهمة، ذهبنا جميعًا إلى دير القديس أنبا مقار.

ومنذ أن وصلنا إلى دير القديس أنبا مقار، بَدَأَت مرحلة جديدة في حياة الأب أليشع. فقد عَهَدَ إليه أبونا الروحي بالاتِّصال بالمعارف والمحبين، لمعاونتنا في بناء الدير وتعميره، والذي كان في حالة يُرثَى لها من حيث تصدُّع المباني القديمة والأسوار المُهدمة. وكذلك لكي يقوم الأب أليشع بإحضار المُعدات الكبيرة ومواد البناء.

وقد استدعى الأمر أنْ كلَّف الأب متى المسكين الأب أليشع بالسَّفر عدَّة مرَّات إلى ألمانيا، ومرَّةً إلى أمريكا وكندا لشراء مُعدَّات ثقيلة. وكان الربُّ يتمجَّد في هذه الأسفار، ويستخدم الأب أليشع في شرائها بطُرُقٍ إعجازية، حتى أنه كان في كل مرَّةٍ يعود فيها من أسفاره الطويلة، يطلب منه أبونا الروحي أن يحكي لمجمع الرهبان أعمال الله العجيبة معه، وكيف كان الرب يفتح له الأبواب المغلقة.

وكان يشهد أبونا الروحي على طاعة الأب أليشع وإخلاصه وتعبه وأمانته في كلِّ أسفاره، حتى اكتملت مباني الدير في وقتٍ كانت فيه الدولة تجوز أيامًا صعبة في حرب الاستنزاف ثم في حرب أكتوبر ١٩٧٣. فقد كان الحصول على الأسمنت اللازم للبناء والحديد بمشقَّةٍ كبيرة، كما كانت كل هذه الأعمال تحتاج إلى أموالٍ كثيرة، يتعذَّر الحصول عليها.

وفي الختام، فإننا نشكر الله الذي أكمل عمله كما أراد. وإن كان الرب قد سَمَحَ بأيام ضيق وتجارب، ولم ننجُ من حَسَد إبليس، إلاَّ أنَّ المحبة لا تسقط أبدًا. والله في تحنُّنه لم يترك أولاده ومُحبيه، فقد جعل مع كل هذه التجارب المنفذ، وحَفِظَ أخانا الحبيب الأب القس أليشع المقاري، ولم ينسَ جهاده وتعبه وإخلاصه وأمانته، وأعانه على آلامه في فراش المرض تنفيذًا لوعده الصادق: «طُوبَى لِلَّذِي يَنْظُرُ إِلَى الْمِسْكِينِ. فِي يَوْمِ الشَّرِّ يُنَجِّيهِ الرَّبُّ...الرَّبُّ يَعْضُدُهُ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الضُّعْفِ» (مز ٤١: ١،٣).

نطلب للأب المبارك أليشع المقاري نياحًا في مساكن الأبرار، وأعماله تتبعه.

الراهب يوحنا المقاري

لحق بالمركبة النارية الصاعدة للمجد

انطلق عنا إلى السماء، قدس أبونا أليشع، بعد أن خلع ثوب الجسد، الذي كان يعيقه بكل أتعابه وأمراضه. وتحررت روحه المباركة لكي تسكن في حضرة مخلصه، مع كل أبناء النور، في مساكن الأبرار، حتى يكمل اشتياقات نفسه وروحه بتسبيح فاديه الذي أحبه إلى المنتهى.

لقد سبق أبونا أليشع – صاحب المواهب المتعددة، الظاهرة والخفية – أن باع نفسه للمسيح، بعدما ترك كل شيء، مثل القديس أنطونيوس، وأسرع ليتبع سيده مثل تاجر ماهر باع كل ما له حتى يقتني اللؤلؤة الكثيرة الثمن، التي تهبه الحياة الأبدية.

كم من أموال ومقتنيات وممتلكات مرت بين يديه، وكانت تحت تصرفه وسلطانه، خلال حياته، ولم تغير فيه شيئًا، ولم يكن له فيها مطمع أو غنيمة، لأن النفس الشبعانة، بحب يسوع، تدوس كل عسل هذا العالم. وكم من أصدقاء وشهود كثيرين ربحهم بسبب وكالته الجيدة وأعماله المباركة لمال الظلم المتاح له، كوكيل أمين على عطايا الله ومواهبه التي حباها الله له.

كانت لأبينا أليشع ثقة قوية بالله، ففي أحداث كثيرة مرت بنا، في الدير وفي الكنيسة، كنا منزعجين من الأحداث والمشاكل التي لحقت بنا، ونجلس نتباحث في كيفية حلها أو مواجهتها، في الوقت الذي كان هو، بكل هدوء وابتسام وسلام عجيب يقول: [وإيه يعني، ربنا أقوى، هو الذي يحل]، أو يقول: [ولا يهمكم، يسوع سيدبر الأمر، تعالوا

نصلي]. وهذا ما كان يحدث دائمًا، وفي أسرع وقت... لقد كان صاحب إيمان بالله لا يُبارى.

كان أبونا أليشع صاحب صلوات نارية ملتهبة، فكان دائمًا يدعونا للصلاة في كل وقت، ومن أجل كل الأمور. كان قادرًا، حتى وقت أتعابه الكثيرة، والتي اكتملت بمرضه المنهك – والذي كان يحاول إخفاءه عن الجميع – كان قادرًا على تعزية أي إنسان متألم، وتشديد أي شخص يلجأ إليه أو مشتكٍ أو متذمر، ليحوِّل حزن الجميع وشكواهم إلى رجاء وفرح لا يوصف، متمما قول الإنجيل: "كفقراء ونحن نغني كثيرين".

رغم كل مواهبه وقدراته التي أعطاها له المسيح، لم يسعَ إطلاقا لمكانة أو منصب أو رتبة أو كرامة، بل سلك بكل اتضاع، حاسبًا عار المسيح، أفضل من كل غنى وكرامات هذا العالم الزائل.

إن روح أبونا أليشع، الوثابة، وإن كانت قد انطلقت وفارقتنا بالجسد، فستظل دائمًا قائمة معنا عاملة بقوة في قلوبنا، ومحفزة لأرواحنا، لنسلك ونتعلم من حياة هذا الأب الناسك والمجاهد والعابد الأمين، وستظل أتعابه وما قدمه لديرنا، ولأديرة أخرى ومنشآت كنسية وخيرية مباركة، شاهدة على أمانة وجهاد هذه النفس المطوبة، وحبها للمسيح.

أمين، اذكرنا يا أبونا الحبيب أمام عرش النعمة،

طوباك، ثم طوباك. وإلى لقاء في السماء.

ناحوم المقاري

أبونا أليشع ووجوده الدائم في المغارة

منذ بداية رهبنة الأب أليشع في وادي الريان سنة ١٩٦٣عاش في مغارة، فأحبها لدرجة العشق، ولما جاء إلى دير القديس الأنبا مقار كانت له مغارة خاصة به بجوار مغارة أبينا متى المسكين.

ولكن من المعروف أيضًا أن الأب أليشع كان دائم السفر سواء داخل البلاد لشراء كل مستلزمات تعمير الدير: أسمنت، حديد تسليح، أخشاب، أدوات صحية وخلافه، أو خارج البلاد (أمريكا وأوروبا) لإحضار المعدات الكبيرة مثل اللوادر، بلدوزر، جرارات زراعية...

والسؤال المُحير هو كيف كان أبونا يتواجد دائمًا في المغارة رغم سفرياته المتعددة داخل مصر وخارجها (وكانت مدتها تصل أحيانًا لعدة أشهر)؟!

والجواب على ذلك هو أن أبانا أليشع كان يتخذ من أي مكان يتواجد فيه مغارة، فكانت سيارته الصغيرة مغارته، والمكان ينام فيه مغارة سواء كان في القاهرة أو أمريكا أو ألمانيا.

ومرَّة سمعت أبونا أليشع يقول: عندما أوجد في أي مكان، أصلي وأنام، وعندما أستيقظ لا أتذكر للحظات أين أنا، لأن أي مكان كان بالنسبة لي مغارتي التي أحببتها. وكما كان أحد الآباء قديمًا يقول للمغارة عند دخوله: "السلام لكِ يا ممتلئة نعمة". طبعًا كان ذلك

بسبب الصلوات الحارة التي كان يصليها في مغارته.

أبونا أليشع كان رجل صلاة بالحق، وشهد له كل الآباء بذلك، وسمعت الأب بطرس المتنيح يقول: [عندما أقف مع أبونا أليشع للصلاة أتمنى ألا ينتهي أو يختم الصلاة من حلاوة كلماته مع الرب يسوع وعمق العشرة والحياة الأمينة والمخلصة للرب].

مرة كنت في مستشفى في ألمانيا لإجراء عملية، وفي يوم جاءني أبونا أليشع في المستشفى ليفتقدني وجلس على الكرسي، وبعد قليل رأيته أغمض عينيه، فحسبت أنه نائم، فسكتُّ لكي لا أزعجه، ولكنه فجأة فتح عينيه وقال لي: هذا المزمور ينطبق عليك. فقلت: وما هو؟ قال: أعظمك يا رب لأنك احتضنتني، فقد كان يصلِّي مزاميره...

وسمعت مرَّة قداسة أبينا الروحي القمص متى المسكين يقول هذه القصة: [مرة كان أبونا أليشع مسافرًا في باخرة، وكانت له قمرة خاصة به، ولكن لمَّا كان يخرج لتناول الطعام في مطعم الباخرة رأى مناظر لا تسر، فماذا يفعل؟ أخذ يتمشى على ظهر الباخرة إلى أن اكتشف مكانًا يختبئ فيه مكتوب عليه "ممنوع الدخول"، فكانت تلك ضالته، واختبأ في هذا المكان، وكان هو المغارة التي عاش فيها طوال رحلته.

وطوال فترة وجود أبينا أليشع في بيت المحبة بالزيتون الذي أنشأه، كان يعيش هناك كأنه في مغارته بالصحراء.

لن أنسى خدمته لي عندما كنت معه في ألمانيا أجري هناك عملية جراحية صعبة. جلس مرة على الأرض وأخذ يلبسني الحذاء، وأنا في غاية الخجل والألم النفسي، لأني أعلم جيدًا الفرق الشاسع بين القامة الروحية لأبينا أليشع وبين حقارتي أنا الصغير والحقير.

طوباك يا أبونا أليشع يا مَنْ عشت مُتحدًا بالرب، وتركت الكل لتتحد بالواحد حتى وأنت في وسط الناس ...طوباك لأن هذه القامة لا يستطيع أن يعيشها إلا من وصل إلى قمة الاتحاد بالمسيح.

طوباك لأنك عشت حياتك كلها في المغارة في أي مكان تواجدت فيه.

اذكرني يا أبي في صلواتك أمام مَنْ أحبك وأحببته، ربنا يسوع المسيح لكي يكمل جهادنا كما أكملت ونلتقي الرب وجهًا لوجه.

أمين

إيسائياس

بين أليشع النبي وأليشع المقاري

لو نظرنا لحياة أليشع النبي لوجدنا تطابقًا عجيبًا بينه وبين أليشع المقاري وذلك في أمور كثيرة:

+ كان أليشع بن شافاط رجلًا غنيًا يمتلك مساحات شاسعة من الأرض، وكان رجلًا تقيًا محبًا للرب جدًا، لدرجة أنه لما دعاه إيليا ركض وراءه وذبح البقر وسلق اللحم بأدوات البقر (أدوات الحرث)، وأعطى الشعب ليأكلوا! وهكذا أبونا أليشع كان غنيًا، له تجارته الخاصة، ومن شدة حبه للمسيح كان يعطي من أمواله لخدمة إخوة الرب الأصاغر، وازداد هذا المال شيئًا فشيئًا إلى أن أصبح كله للرب.

+ يحكي أبونا أليشع أنه عندما ترهب في وادي الريان أعطاه أبونا متى المسكين اسم أليشع، إلا أنه زعل جدًا من هذا الاسم وأراد تغييره!! ولكنه بعد فتره قَبِلَ، وطلب من أبينا متى أن يكون له ضعفين من روحه، كما طلب أليشع النبي من إيليا النبي قديمًا.

+ كان أليشع النبي رجل الإيمان، فمرة أحضر له رجل ٢٠ رغيف شعير، فقال لخادمه أعطِ الشعب ليأكل، فقال له: كيف يكفي هذا لمائة رجل؟ وفعلًا أكل الشعب وفضل عنهم. أما أبونا أليشع فكان يُطلب منه إحضار أدوات ومعدات للدير وهو لا يملك إلا شيئًا إلا قيمة تذكرة الطيران، ولكنه كان بالإيمان والثقة بالله يسافر ويُحضر كل ما طُلب منه.

+ أليشع النبي كان يعطف على الفقراء والأرامل. مرة صرخت إليه امرأة أرملة بأن زوجها مات، والمرابي يريد أن يأخذ ولديها وفاء لدين على زوجها، فذهبت إلى النبي، وقصة دهنة الزيت معروفة. أما أليشع المقاري، فالقصص والحكايات هنا لا تنتهي، كان لا يصدُّ أي محتاج أو فقير. اهتمامه كان شديدًا بالأيتام، فكان يدبر لهم مسكن، ويوفر لهم عمل، ويساهم في تكاليف زواجهم. كذلك يوصي على المرضى المحتاجين لعمليات.

+ أليشع النبي أقام ميت، ابن المرأة الشونمية، أبونا أليشع أقام كثيرين من موت الخطية والفساد، وأرشدهم وجعلهم يحيون في جدة الحياة.

+ أليشع النبي كان رقيقًا جدًا ومملوء حنان، فمرة جعل فأسًا حديديًا يطفو على الماء، لأن الذي يستخدمها صرخ وقال أنه لا يملكها بل هي مُستعارة. أما أبونا أليشع فقد قال مرة أنه لا يحتمل أن يرى شخصًا في ضيقة. حدث أن سائق عربة صدم عربة الدير (عجنها)، فذهب أبونا أليشع للقسم (وكنت معه)، فرأينا رجلًا مرتعدًا مسترحمًا، وعندما رآه أبونا هكذا، أخرج مبلغًا من المال وأعطاه للسائق، وتنازل عن المحضر.

الراهب توماس المقاري

سنفتقدك كثيراً

رأيناك قدوة حسنة ورأينا مجد الله فيك وفي كل تحركاتك.

من أين لنا أن نعدد آيات الله المبهرة معك؟

إن كان ظاهرًا أنك بنيت أديرة رهبان وراهبات لكن كيف نعدد بناءك لنفوس لا تحصى؟ وماذا نقول عن محبتك بل أحشاء رحمة إلهنا التي تجسَّدت فيك من نحو إخوة الرب؟ كنت لهم ينبع إغاثة وينبوع فرح.

كنت طيبة ووداعة وحنان بلا نهاية، ومع ذلك كنت صلب جبار لا تنحني لأي صوت أو رأي يخالف همسات الله في قلبك.

+ حكيت لنا أنك عندما كنت في كلية التجارة، وكان الدرس عن: "عقود الملكية". فكتبت عقد شخصي بينك وبين من اشتراك هكذا: البائع وكتبت اسمك «منير» ووقعت، ثم المشتري، وكتبت يسوع المسيح، ووضعت القلم، وأخذت تصلي حتى شعرت وكأن الله وقّع باسمه!

+ حياتك كلها عجيبة منذ بدايتها. كانت الأسرة تجار قطن كبار وناجحين، فتعلمت منهم، وبدأت تتاجر في القطن وفي نهاية الموسم تُصفي كل شيء وتعطي الكنيسة والفقراء كل المال، ولا تُبقي لنفسك شيئًا، ثم عند الموسم الجديد تستلف مبلغًا تبدأ به وتتاجر، وفي نهاية الموسم أيضًا تصفي كل شيء لحساب الكنيسة والفقراء. ورفض بشدة عندما حاولوا أن يُبقي معه رصيدًا يبدأ به الموسم القادم بدلًا من السلفة!

+ كان رجل صلاة من الطراز الأول. حدث أن استغاث به أحد الأحباء وهو يبكي ويقول: ابنتي اتصلت من أمريكا وتقول وهي باكية: بابا تعال خذني من هنا، زوجي وإخوته ضربوني وبهدلوني وشتموني، فذهب إليه أبونا أليشع وقال له: نحن هنا في مصر، وابنتك في أمريكا ... تعال لربنا الذي هو هنا وهناك وفي كل مكان، وتعال نصلي، وفعلًا قاما للصلاة، وطلبا من الرب إنقاذ هذه الابنة. وبعدها بدقائق اتصلت ابنته من أمريكا، وقالت: بابا، خلاص لا تحضر، لأن زوجي جاء إليَّ وبكى وتأسف، وقال كيف أعمل هذا؟ وأبوك وأهلك استأمنوني عليكِ، أنا عارف قلبكِ الطيب أنكِ سوف تسامحيني. بابا، لا تحضر.

+ كان الدير في احتياج لطلبية حديد تسليح من مصنع كان يديره رجل أجنبي، وكان يكره رجال الدين ورافض لطلبنا، ولم يدرِ أبونا ماذا يفعل؟ فاتصل بسكرتيرة المدير، وهي مسيحية، وقال لها: كل ما عليك أن تفعليه هو أن تقدمي طلبنا للرجل، والدير سيصلي، وبعدها بقليل اتصلت به السكرتيرة وهي تُبشره بفرح أن المدير وافق على الطلب!! فذهب إليه أبونا ثاني يوم ليدفع الفلوس ويستلم الحديد، وعندما وجده ذهب ليشكره، فإذا بالمدير يشاور له ويقول: اذهب بعيداً عني، ولكن خذ الحديد، فتعجب أبونا أن الصلاة أرغمته على الموافقة رغمًا عنه!

اذكرنا أمام من أحبته نفسك للمنتهى.

الراهب دانيال

✝

+ «بَادَ الصِّدِّيقُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ ذلِكَ فِي قَلْبِهِ. وَرِجَالُ الإِحْسَانِ يُضَمُّونَ، وَلَيْسَ مَنْ يَفْطَنُ بِأَنَّهُ مِنْ وَجْهِ الشَّرِّ يُضَمُّ الصِّدِّيقُ. يَدْخُلُ السَّلاَمَ. يَسْتَرِيحُونَ فِي مَضَاجِعِهِمْ. السَّالِكُ بِالاِسْتِقَامَةِ» (إش ٥٧: ١، ٢)

أبونا أليشع الحاضر على الأرض - المستوطن السماء بآنٍ.

سكن اللسان الملائكي العَفّ الذي أتقنَ ولم يفتر عن التسبيح بكلمة "قدوس قدوس قدوس" طوال عشرات السنوات. اللسان الطاهر الينبوع النقي الذي ما كان يُخرِج إلا ماءً عذبًا، اللسان الذي نطق بالنعمة، الذي لم يكن يُخاصم ولا يصيح ولم يُسمَع منه إلا الصلاة والدعاء وعبارات البركة والشكر. سكن ولكنه لم يسكت فالجسد ضعيف مآله التراب أمَّا الروح فهي تشفع فينا.

لم أرَ شخصية متكاملة روحيًّا مثل قداستكَ، فأنتَ مملوء بالتواضع والمحبة والإيمان ... كان فيك كل ثمر الروح القدس. كنتَ رجل صلاة ورجل سلام مع الله ومع الناس.

كنتَ ناظرًا بثبات وعزم ورجاء حقيقي إلى المدينة المقدَّسة العتيدة، بل كنتَ ساكنًا بها من الآن وكأنكَ غائبٌ عن الأرض.

كانت واضحة جدًّا في حياتكَ مخافة الله والتقوى وحب الصلاة، فأنتَ لم تحد للحظة عن محبتكَ ليسوع وعن ومحبتكَ للرهبنة

ومبادئها. عشتَ بمنتهى الأمانة والشرف.

كنتَ محبًّا للسيد من كل قلبكَ – كنت عاشقاً للصلاة، محبًّا للمغارة كمتوحِّد حقيقي – رجُل جبال مع أنكَ قضيتَ أوقاتاً طويلة في العالم وفي الخدمة ولكنك طبقت بكل حذق وصية «الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ هذَا الْعَالَمَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَعْمِلُونَهُ. لأَنَّ هَيْئَةَ هذَا الْعَالَمِ تَزُولُ» (١كو ٧: ٣١).

كنتَ تنعم بعمق الوصايا وتحيا بقوَّتها، فقد كان بإمكانكَ أن تمتلك كل شيء ولكنكَ كنتَ عفيفاً مثل سيدكَ الذي «لم يكن له أين يسند رأسه»، فلم يمتلكُكَ شيء.

عشتَ كل وصايا الإنجيل بعمق وبمهارة لأنكَ أحببتَ الرب من كل قلبكَ ومن كل نفسكَ ومن كل فكركَ وبكل إرادتكَ.

لم تعرف البغضة أبدًا ولا الإدانة ولا النميمة ولا أية نقيصة طريقًا إلى قلبكَ المكرَّس بالكامل للسيد المسيح، فكان كلامكَ كلّه روحانيًّا.

كنتَ ناسكاً وزاهداً في كل شيء: مأكلك بسيط وكذلك ملبسك ومظهرك ومسكنك ... ولكنك كنتَ عملاقًا في معرفة الروحيات وفي خبراتك في الطريق الروحي وفي اهتمامك بخلاص كل مَنْ تقابله. لم تكن عيناك تريان إلاَّ ما هو إيجابي في الآخرين، لم ترَ ضعفًا ولا نقيصة بل كنتَ دائمًا تمتدح الآخرين وتُظهِر ما فيهم من فضائل.

تجسَّدَتْ في حياة القديس أبينا أليشع المقاري كل فضائل الرهبنة

من تواضع حقيقي ونُسك وزُهد في كل شيء مع محبة للجميع وسلام إلهي وتكريس القلب بالكامل للصلاة والتسبيح.

كثيرون يتقنون رتابة العبادة وكأنهم موظَّفون – أما أبونا أليشع فكان متجدِّدًا كل صباح – «يُخرج من كنزهِ الصالح جُددًا وعتقاء».

كان متوحدًا أينما وُجِدَ، في المدينة، خارج الوطن، في سيارته، أو في وسط الناس والانشغالات، ولكنه أبدًا ما كان شيء يشغله عن حب السيد والتزامه الرهباني.

علَّمتنا كلمات الصلاة والتسبيح، علَّمتنا كيف تكون الصلاة بالروح والحق، علَّمتنا السهر وحب السيد المسيح وكنيسته ... لن أنسى سهرات الصلاة والتسبيح معكَ في مغارتك وصوتك المملوء وداعة وحبًّا للسماء وأنتَ ترتِّل – صوتك لن يفارق وجداني فأنتَ أبي وقد علَّمتني الكثير.

سأظل بقية عمري مدينًا لقداستكَ بما تعلَّمته منكَ ورأيته فيكَ من نُبل أخلاق المسيح، ومن عمق إرشاداتكَ ومن قوَّة وفاعلية صلاتك.

لن أنسى لقداستكَ المرَّات التي فيها سندتني وأقمتني من ضعفٍ وفتورٍ وتيهٍ.

كم سأفتقد أبوَّتك الحانية المملوءة حلاوة كم سأشتاق إلى جلسات الهدوء معك التي كنتُ آخذ فيها سلام المسيح من خلال

سلامك الذي كنتَ تنعم به دائمًا.

سأفتقد قداستك كأب رهبنة حقيقي وكمعلِّم ووارث أصيل لآباء البرية العظماء بكل ما علَّمونا من أسرار الحب الإلهي.

لم تشتكِ ولم تئن طوال فترة مرضك، مع أنكَ جزتَ الموتَ مرارًا ولكنه لم يستطع أن يُمسِك بكَ. لم أسمع من فمكَ الطاهر إلا كلمة "نشكر الرب"، "إلهنا صالح" حتى وأنتَ في قمَّة الضَّعف والوهَن كنتَ تحرِّك شفتيكَ محاولاً نطق كلمات الشكر والرضى.

كنتَ تستخف بالموت، بل وتشتهيه وكأنكَ ترى "المدينة التي لها الأساسات" لأنك عالمٌ وموقنٌ إلى أين أنتَ ذاهب – كنتَ تردِّد "كفاية كده"، "نروح للمسيح أحسن".

أبونا أليشع لا يمكن معرفته عن طريق أي مصدر إلا معرفته معرفة شخصيَّة، فمَنْ لم يُعاشره فقد فاته الكثير.

مهما كتبتُ عن قداستكَ يا أبي فلن أوفيكَ حقّكَ لأنك كنتَ إنسانًا نادر الوجود.

اذكرنا أمام السيد المسيح وأنت منطلقٌ في تسبيح دائم كنتَ تشتهيه.

ابنك

الراهب كاسيان المقاري

بالحب نودعك

هو إنسان منا، ولكنه لا ينتمي إلينا، يُشبهنا في كل شيء، ولكن هيهات أن نُشبهه. صعب عليك أن تحصره في جماعة معينة من البشر، الكل سيدَّعيه لنفسه، الكل سيقول أنه يخصني. ولكن الحق يُقال هو لا يتبع هذا أو ذاك، إنه ملك للمسيح وحده، كما كتب هو في عقد ملكيته للمسيح يوم أن كان يدرس هذه المادة في كلية التجارة.

تحبه وتنجذب إليه بمجرد أن تراه، صوته الوديع الهادئ يتسلل داخلك فيزلزل كيانك ويترك فيك أثرًا لا يمكن للسنين أن تمحوه.

إذا وقف مع جماعة من الناس فالكل له من اهتمامه نصيب، فهو لا يهمل أحدًا، يجامل الجميع، يلاطف الصغير، تخرج من عنده وأنت لا تريد أن تتركه. وإذا وقفت معه للصلاة فتتمنى أن تطول صلاته.

سأحكي عن خبرة صغيرة حدثت لي معه منذ عشرات السنوات. كنت في ضيقة شديدة، وكان هو في الدير، وبعد عشية السبت مشيت معه من الكنيسة لمغارته، وأخذت أحكي متألمًا، وهو يسمعني جيدًا... وصلنا لمغارته، وقال لي انظر إلى السماء، انظر إلى اتساعها اللانهائي، انظر لأعداد النجوم، تأمل في إلهنا كم يكون أكبر وأعظم منها، هذا الإله هو لنا، هو يحبنا، يرتضي أن يسكن داخل قلوبنا الصغيرة....

أعترف: خرجت من عنده، وأنا لست أنا، ولا تسألني كيف!

راهب أحبه وأحبني

بابا أليشع

سفر الحكمة، كنز المحبة، كتاب الحياة، حنان الأبوة، رجل الصلاة، جبار البأس، الإيمان الذي لا يعرف المستحيل.

أبونا الحبيب، القديس الوديع، الراهب الزاهد، الغني بمحبته الشديدة والعميقة للسيد المسيح.

كلمة بابا غالية علينا كلنا جدًا، نقولها من قلبنا لأبينا أليشع.

كان أبًا في محبته لنا مثل آبائنا الجسدانيين وأكثر.

أحبنا محبة روحية حقيقية رأيناها في كل أمور حياتنا واحتياجاتنا.

كان يشعر بآلامنا وضعفنا ويشترك معنا في فرحنا ببساطة وأبوة فعلًا.

أحبنا وأحببناه، وعندما كان يضع يده وصليبه على رؤوسنا، تصل صلواته سريعًا كالسهم وتخترق القلب والأعماق، مانحة إيانا شفاءً وفرحًا وسلامًا.

بابا أليشع، رأينا فيه تواضعًا وأمانة رهبانية ومحبة أبوية فيها كل محبة الآب نفسه. رأينا عينه المثبتة دائمًا على السماء. رأينا عشرته ومحبته للرب يسوع، وأيضًا عمل الروح القدس في حياته.

نحن نشكر الله من عمق قلبنا لأنه أعطانا أبًا حسب قلبه. أب قديس ومدرسة للحياة وإنجيل معاش نتعلم منه كل حين ونتبارك بصلواته النارية التي لمسناها ورأيناها تشفي النفس والروح والجسد وتصنع المعجزات.

بابا أليشع، أعطانا اهتمامًا ورعاية، وكان دائمًا يسندنا في حياتنا الرهبانية ويسمعنا، ويُعلمنا كيف نحب يسوع المسيح، ونخدمه ونخلُص لطريقنا

وديرنا ونحب بعضنا ونُخلِص لحياة الرهبنة، وكيف ننطلق بالروح والجسد، وننفك من رباطات العالم وننجذب لمحبة السيد المسيح بالكامل.

محبته لم تكن لنا فقط، بل شملت العاملين بالدير، فما أن يسمعوا أنه بالدير ويروه، كانوا يندفعون إليه ويقولون له: "بابا"، فهم قد ذاقوا أبوته وعطفه عليهم. وعندما يراهم أبونا كان يذهب إليهم ويُسلِّم عليهم، ولو كان في العربية ينزل مخصوص ويرحب بهم، ويشكرهم على أمانتهم في عملهم، ويتكلم معهم بكل تقدير وحب عجيب ويشوف احتياجاتهم وطلباتهم. أخيرًا يدعو لهم. ولو أحدهم كان في العمل ويده غير نظيفة ومكسوف يسلم بها، كان بابا أليشع يمسك يده ويقول له هذه يد المسيح التي تتعب في بيته.

وعندما كانت أهالي الراهبات يزوروا الدير، كان يجلس معهم ويباركهم ويصلي لهم ويشجعهم ويشكرهم على تقديم بناتهم للرهبنة كذبيحة حب.

كان يعامل الجميع بكل عزوبة الحب والأبوة.

بابا أليشع كان فعلًا رجلًا كاملًا يحيا الوصية، لم نسمعه قط يدين أحدًا أو يحكم على أحد مهما كان غلطان.

كان يصلي من أجل الذين يسيئون إليه ويطلب لهم البركة من كل قلبه.

حدث أن مرَّ أبونا أليشع بتجربة صعبة تفوق التحمل، ولولا علاقته

الوثيقة بالله لكان قد انحنى تحت وطأتها. وفي ذلك الوقت ظهر له ملاك نوراني قال له: صلِّ هذه الصلاة، وقد علَّمنا بابا أليشع هذه الصلاة:

[قدوس، قدوس، قدوس، أيها الآب السماوي القدوس،
في اسم يسوع المسيح القدوس، املأني من روحك القدوس،
المجد لاسمك القدوس.
قدوس، قدوس، قدوس، قدسني يا قدوس].

بابا أليشع، إنسان كريم جدًا ومملوء بالعطاء والبركة في الروح وأيضًا في المادة، كان يعطي كل ما له لا يستبقي لنفسه شيئًا. وكان دائما يقول كلها حاجة يسوع، من يده ، ومن يده نعطي.

كان لا يقبل أي مديح إطلاقًا، وعندما يزورنا في الدير ونقول له: يا بابا نوَّرت الدير، كان سريعًا يرد ويقول: يسوع هو نور العالم كله. وعندما نقول له: أنت تتعب يا بابا لأجلنا كثيرًا، كان يرفع عينيه للسماء ويقول: أبدًا، ربنا هو الذي بعمل كل حاجة، ومن حبه وتواضعه يشركنا في العمل معه.

ومهما قلنا عن بابا، لا القلم يسعفنا ولا الكلمات تساعدنا حتى نقدر أن نعبّر عمَّا بداخل قلوبنا من نحوه.

لنا ثقة إنه سيذكرنا دائمًا أمام عرش النعمة ولن يتخلى عنا أبدًا

اذكرنا أمام عرش النعمة، حتى نصل للميناء بسلام،

بناتك راهبات عمانوئيل

معجزة مع أبي

كان أبي مجنداً بالجيش في الوقت الذي حدثت فيه حرب ١٩٦٧، وكان هو من ضمن الجنود الذين انسحبوا من سينا، وكانت طائرات العدو تحصدهم واحداً فواحداً بالمدافع الرشاشة، وأخذ أبي يصرخ بكل قوة: "أغثني يا أبونا أليشع، أغثني يا أبونا أليشع"، وكان أبونا أليشع آنذاك في الريان. ولم يعرف أبي كيف نجا بالرغم من أن كل أصدقائه قتلوا.

وقال أبونا أليشع (فيما بعد) أن صراخه أقلقه، وأحس بالروح أن "نبيل" في خطر، فأخذ يصلي بحرارة من أجله، بل وأوصى الآباء بمشاركته في الصلاة.

وبالفعل أُنقذ «نبيل» من موت محقق، ورجع من سيناء ماشياً، وعاد للقاهرة، وأول شيء فكر فيه هو أن يزور وادي الريان ويشكر أبونا أليشع، فلما وصل هناك، قابل أحد الآباء، وعرَّفه باسمه وطلب مقابلة أبينا أليشع. فقال له الأب: هل أنت نبيل، ده أبونا أليشع لم يكف عن الصلاة لأجلك. فذُهل أبي، فقد انقطعت أخباره عن أبينا أليشع من سنوات طويلة، وبالرغم من بُعد المسافة بينهما، وعدم وجود أخبار ولا تليفونات، إلا أن الروح نقل لأبينا أليشع صرخات أبي، وأُنقذ من موت مُحقق بأعجوبة.

وكان هذا الأمر سبب تعزية كبيرة لأبي ولأبينا أليشع وبقية الآباء.

مهندس مايكل نبيل

صلوات لأبينا أليشع (٥)

(٥) صلوات وُجدت وسط أوراقه، غالبًا كتبها أثناء إحدى رحلاته للخارج، كما يُفهم من التذييل.

١

ربي يسوع المسيح إلهي خلاصي الذي أحببتني حبا أبديا وأدرت
رحمتك على منذ وجدت على الأرض وإلى هذه الساعة كم أشكرك
يا إلهي من عمق قلبي على جودك وصلاحك الذي لا حد له. كم
أنت طيب يارب. كم أنت محب يارب. كم أطلت أناتك على عبدك
ولم تعاملني كاستحقاقي وإلا لكنت قد أفنيتني ولكن بمراحمك
ولطفك الكثير جداً سبيتني فصرت عبداً لك كل أيامي بحريتي وبفرح
قلبي أن لي إلهاً مثلك لم تتخل محبتك لعبدك أبداً رغم كثرة آثامي
لهذا أنا أسير محبتك ياسيدي يسوع المسيح مخلصي. ماذا
أفعل ياسيدي لأرضي قلبك المحب. أسلم لك نفسي قدها يارب
كما تحب ليس لي غيرك شيء ومعك في الأرض بالحقيقة لا أريد
شيء. أنت تعلم أني أحبك وإن كنت لم أشبع من حبك
كما تشتهي روحي فأشبعني أنا عبدك الجائع إليك أشبعني
من نور وجهك ونقيني لأستطيع أن أعاين مجدك وقدس خطواتي
أيامي الباقية لي على الأرض حتى أصل إليك وأتحد بك في
حب أبدي. يايسوع لقد أعطيتني من غنى مجدك كل شيء لم
تبخل أبداً من عطيتك بل سخاءك يغمرني ياسيدي فأرشدني
من أجل اسمك ماذا تريد مني يارب أن أعمل. إعلن لعبدك
مشيئتك وقوي عبدك ليكملها. قدوس أنت ياربي وإلهي
الكلي الحكمة وقدوس في كل شيء قدسني ياسيدي الآن لأكون
كلي لك. لا تجعل في قلبي سواك تبتني فيك وأملأ بروحك
كل كياني لأكون قدساً لك يارب. إبطل كل قوة مضادة
لعملك فيّ حتى تنطبع صورتك في أعماقي فتتقدس الحياة
باتحادك بك. ربي يسوع الطيب جداً تستطيع أن تعمل
أكثر مما أطلب وتستطيع أن تعطي ما يفوق العقل لأنك
غني في العطاء وكريم في التوزيع تفتح يدك فتملأ كل حي
من رضاك. فأعطي لروحي انطلاقاً لتتحد بك إلى الأبد
مجد إسمك ياسيدي في إنسان ضعيف جداً مثلي ليظهر
غنى رحمتك لخليقتك وأحدث بكم صنعت بي ورحمتني.
مبارك أنت ياربي وإلهي من الآن وإلى الأبد.
آمين
٧/١١/٢٠٠٠

✠

ربي يسوع المسيح إله خلاصي الذي أحببتني حبًّا أبديًّا وأدمت رحمتك عليَّ منذ وُجِدت على الأرض وإلى هذه الساعة.

كم أشكرك يا إلهي من عمق قلبي على جودك وصلاحك الذي لا حد له.

كم أنت طيب يا رب. كم أنتَ محب يا رب. كم أطلت أناتك على عبدك ولم تعاملني كاستحقاقي، وإلا لكنت قد أفنيتني، ولكن بمراحمك ولطفك الكثير جدًّا سبيتني، فصرت عبدًا لك كل أيامي بحريتي.

يفرح قلبي أن لي إلهًا مثلك. لم تتغيَّر محبتك لعبدك أبدًا رغم كثرة آثامي، لهذا أنا أسير محبتك، يا سيدي يسوع المسيح مخلِّصي.

فماذا أفعل يا سيدي لأرضي قلبك المحب؟!

أسلِّم لك نفسي، قُدها يا ربي كما تحب، ليس لي فيها شيء ومعك في الأرض بالحقيقة لا أريد شيئًا.

أنت تعلم أني أحبك، وإن كنت لم أشبع من حبك كما تشتهي روحي؛ فأشبعني أنا عبدك الجائع إليك، أشبعني من نور وجهك، ونقِّني لأستطيع أن أعاين مجدك.

قُدْ خطواتي في أيامي الباقية لي على الأرض، حتى أصل إليك وأتحد بك في حب أبدي.

يا يسوع لقد أعطيتني في غنى مجدك كل شيء، لم تبخل أبدًا في عطيتك/ بل سخاؤك غمرني، يا سيدي، فأرشدني من أجل اسمك

ماذا تريد مني يا رب أن أعمل؟.

أعلن لعبدك مشيئتك، وقوِّ عبدك ليكمِّلها.

قدوس أنت يا ربي وإلهي الكلي الحكمة وقدوس في كل شيء،

قدِّسني يا سيدي الآن لأكون كلي لك.

لا تجعل في قلبي شيئًا سواك. ثبِّتني فيك واملأ بروحك كل كياني لأكون قدسًا لك يا رب.

أبطل كل قوَّة مضادة لعملك فيَّ حتى تنطبع صورتك في أعماقي فتتقدَّس الحياة باتحادك بها.

ربي يسوع الطبيب جدًّا، تستطيع أن تعمل أكثر مما أطلب وتستطيع أن تعطي ما يفوق العقل لأنك غني في العطاء وكريم في التوزيع، تفتح يدك فتملأ كل حي من رضاك.

فأعطِّ لروحي انطلاقًا لتخدمك إلى الأبد.

مجِّد اسمك يا سيدي، في إنسان ضعيف جدًّا مثلي، ليظهر غِنَى رحمتك لخليقتك، وأحدِّث بكم صنعتَ بي ورحمتني.

مبارك أنتَ يا رب وإلهي من الآن وإلى الأبد. آمين.

٢٠٠٢/١١/٧

†

أشكرك ياربي يسوع المسيح على لطفك الزائد في معاملة عبدك تتنازل بتواضع شديد وكأب ممتلئ حنانا وحبا تتعامل مع عبدك كطفل صغير يعطيه أباه كل مايطلبه كابن مدلل . إن أبوتك تحيط بي في كل مكان أكاد ألمسه وأرى حقيقة وجودك ما أعذب عشرتك وأحلى محبتك ليتني أنطلق من ذاتي لأتحد بهذا الحب الأبوي الإلهي الى الأبد ولا أعود للوجود في الجسد الذي يحرمني الوجود فيه من الشبع منك . يا إلهي وقدوسي اجذبني بقوة شديدة نحوك فأنطلق من رباط الحواس التي تثقلني . ياربي والهي يامن ذوقتني حبك إضرم هذا الحب بزيادة فيصير لهيب نار فتصاعد أمامك وكما أنت ياسيدي في طبيعتك نار آكلة هكذا إدخلني في هذا اللهيب لتصعد روحي إليك لم يعد للعالم مكان في النفس كل اشتياقي الى مجدك الأزلي قد عرفت لماذا قال بولس رسولك لي إشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذلك أفضل جدا . الذي لمسته بمحبتك يشتاق إلى كمال الحب فيك فينسى كل شئ ويتعلق بك وحدك . أنت يايسوع نصيبي الصالح الذي لن تنزع مني أبدا أنت حياتي يا إلهي ولا أطيق تصور حياة بدونك مهما كان شكلها . أنت لي ياسيدي الكل في الكل ليس لي بالحقيقة سواك حبك المطلق الكامل يجذبني إليك فأحس بالطمأنينة والراحة التي لا أجدها إلا بقربك . هل يمكن يايسوع الهي وحبيب روحي أن توحدني في حالة إتحاد دائم بك في الروح؟ هل يمكن أن يتم لي ذلك ؟ هل هذا ممكن وأنا مازلت بعد في الجسد؟ غير المستطاع في فكرنا نحن البشر ممكن لديك ياإلهي . إني أؤمن بالحقيقة بأنه في يدك وبإرادتك كل شئ مستطاع للمؤمن كما قلت . فهل أطمع أن تحقق ذلك لي ياسيدي . ليته يتحقق فتمتلئ نفسي بهذا الفرح الذي لاينطق به والمجيد . مبارك أنت ياسيدي ياقدوس القديسين يا من تعمل أكثر مما نطلب أو نفتكر . لك المجد والكرامة الى أبد الآبدين التسبيح والشكر والتقديس يليق باسمك العظيم أيها القدوس الجبار آمين

١٠/١١ ......

✝

أشكرك يا ربي يسوع المسيح على لطفك الزائد في معاملة عبدك.

تتنازل بتواضع شديد، وكأب ممتلئ حنانًا وحبًّا تتعامل مع عبدك كطفل صغير يعطيه أباه كل ما يطلبه كابن مدلَّل.

إن أبوتك تحيط بي في كل مكان، أكاد ألمس وأرى حقيقة وجودك.

ما أعذب عشرتك، وأحلى محبتك. ليتني أنطلق من ذاتي لأتحد بهذا الحب الأبوي الإلهي إلى الأبد ولا أعود للوجود في الجسد الذي يحرمني الوجود فيه من الشبع منك.

يا إلهي وقدوسي، أجذبني بقوة شديدة نحوك فأنطلق من رباط الحواس التي تُثقِّلني.

يا ربي وإلهي، يا مَنْ ذوَّقتني حبك، أضرم هذا الحب بزيادة فيصير لهيب نار متصاعد أمامك، وكما أنت يا سيدي في طبيعتك نار آكلة، هكذا أدخلني في هذا اللهيب لتصعد روحي إليك.

لم يعد للعالم مكان في النفس، كل اشتياقي إلى مجدك الأزلي.

قد عرفتُ لماذا قال بولس رسولك: لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذلك أفضل جدًّا.

الذي لمسته بمحبتك يشتاق إلى كمال الحب فيك، فينسى كل شيء ويتعلَّق بك وحدك.

أنت يا يسوع نصيبي الصالح الذي لن ينزع مني أبدًا.

أنتَ حياتي يا إلهي، ولا أطيق تصور حياة بدونك مهما كان شكلها.

أنتَ لي يا سيدي الكل في الكل، ليس لي بالحقيقة سواك.

حبك المطلق الكامل يجذبني إليك فأحس بالطمأنينة والراحة التي لا أجدها إلا بقربك.

هل يمكن يا يسوع إلهي وحبيب روحي أن توجدني في حالة اتحاد دائم بك في الروح؟

هل يمكن أن يتم لي ذلك؟ هل هذا ممكن وأنا ما زلت بعد في الجسد؟!

غير المستطاع في فكرنا نحن البشر ممكن لديك يا إلهي.

إني أومن بالحقيقة بأن في يدك وبإرادتك كل شيء مستطاع للمؤمن كما قلت.

فهل أطمع أن تحقق ذلك لي يا سيدي؟ ليته يتحقق فتمتلئ نفسي بهذا الفرح الذي لا يُنطق به والمجيد.

مبارك أنت يا سيدي يا قدوس القديسين يا مَنْ تعمل أكثر مما نظن أو نفتكر.

لك المجد والكرامة إلى أبد الآبدين.

التسبيح والشكر والتقديس يليق باسمك العظيم أيها القدوس البار. آمين.

٢٠٠٢/١١/١٠

†

يارب يسوع المسيح إله الحب الكامل إعطني حبك الكامل لكي أستطيع
أن أحبك كما أحببتني وأستطيع أن أحب الآخرين كما تحبهم. لقد
أتيت يا سيدي لتلقي نارًا على الأرض ولا تريد إلا إضطرامها. أضرم
يارب نار هذا الحب في قلبي ولا تجعلها تنطفئ أبدًا بل بروحك القدوس
الذي نزل على تلاميذك القديسين في يوم الخمسين مثل ألسنة نار
إشعل به فيّ لكي يشتعل قلبي ويتقد بحبك الإلهي الذي يعطيني
أنا عبدك مذاقة الملكوت ويرفعني فوق ضعفي وفوق العالم
فأراك يا إلهي وخالقي وفادي ومخلصي وأتحد بك في محبتك ووداعتك
واتضاعك فأصبح لا أنا بل تحيا أنت فيّ متحدًا بروحي إلى الأبد.
متى يتحقق هذا يارب. ما أحلى المحبة إملأني إملأني يارب
لأعيشها بالفعل فقط لا بالكلام مع طبيعتك أنت الله المحبة.
ليتك يا سيدي تفتح بصيرة البشر ليدركوا جمالك فيسود
السلام في العالم بين كل الناس. لقد قلت بفمك الإلهي
أحبوا أعداءكم لكي لا تكون بعد عداوة ولا نزاع ولا حروب
ولا خصام. إجذبنا نحن خليقتك التي أضعفتها الخطية والعداوة
إلى حضن الحب الإلهي وأدخله فينا بسلطانك أنت القادر على
كل شيء لكي نمتلئ إلى كل ملئك ونحس بحقيقة مجدك. وسع
قلوبنا لنستطيع بك أن نحب كل خليقتك أنت صانع الخيرات
الرحوم الذي تشفق عليها وتعطيها حياة ووجود وتباركها
وتحفظها وتمجدها وتكرمها. من يقترب منك يا سيدي وتبقى
فيه ذرة عداوة لأحد. أنت نور النفس الذي تضيء
عقلها بحبك فتتوهج بالنور. أنت الكائن والذي كان
والذي يأتي الحي إلى أبد الآبدين والذي بالحب تعطي
حياتك لمن يقبل إليك ويؤمن بك. أيها الرب القدوس
غيرنا وجددنا لنحس بأننا كلنا فيك واحد ليزول
التنافر والتناحر بين بني البشر ويسود الحب وحده
ويأتي ملكوتك على الأرض كما في السماء. طوبى للإنسان
الذي تكشف له سرك وتسكب فيه حبك فينطلق بروحه
محررًا من كل أثقال القيود ويقف أمام مجدك بلا عيب
في الإبتهاج بهذا الحب الأزلي والأبدي.

أمستردام ١٢/١١/٢٠٠٠

✝

يا ربي يسوع المسيح إله الحب الكامل،

أعطني حبك الكامل لكي أستطيع أن أحبك كما أحببتني، وأستطيع أن أحب الآخرين كما تحبهم.

لقد أتيت يا سيدي لتلقي نارًا على الأرض ولا تريد إلا اضطرامها.

أضرم يا ربي نار هذا الحب في قلبي ولا تجعلها تنطفئ أبدًا،

بل بروحك القدوس الذي نزل على تلاميذك القديسين في يوم الخمسين مثل ألسنة نار، اعمل به فيَّ لكي يشتعل قلبي ويتقد بحبك الإلهي، الذي يعطيني أنا عبدك مذاقة الملكوت، ويرفعني فوق ضعفي وفوق العالم، فأراك يا إلهي وخالقي وفاديَّ ومخلِّصي، وأتحد بك في محبتك ووداعتك واتضاعك، فأحيا لا أنا بل تحيا أنتَ فيَّ متحدًا بروحي إلى الأبد.

متى يتحقق هذا يا ربي؟ ما أحلى المحبة!

املأني، املأني، املأني يا ربي بها لأعيش بالفعل فيها، لأتلامس مع طبيعتك أنت الله المحبة.

ليتك يا سيدي تفتح بصيرة البشر ليدركوا جمالها، فيسود السلام في العالم بين كل الناس.

لقد قلت بفمك الإلهي أحبوا أعداءكم لكي لا تكون بعد عداوة ولا

نزاع ولا حروب ولا خصام.

اجذبنا نحن خليقتك التي أضعفتها الخطية والعداوة إلى حق الحب الإلهي، وأدخله فينا بسلطانك، أنت القادر على كل شيء، لكي نمتلئ إلى كل ملأك، ونحس بحقيقة مجدك.

وسِّع قلوبنا، لنستطيع بك أن نحب كل خليقتك.

أنت صانع الخيرات الرحوم، الذي تشفق عليها وتعطيها حياة ووجود وتباركها وتحفظها وتنميها وتكثرها.

مَنْ يقترب منك يا سيدي وتبقى فيه ذرة عداوة لأحد؟

أنت نور النفس الذي تضيء عتمتها بحبك فتتوهَّج بالنور.

أنت الكائن والذي كان والذي يأتي الحي إلى أبد الآبدين، والذي بالحب تعطي حياتك لمَنْ يُقبِل إليك ويؤمن بك.

أيها الرب القدوس غيِّرنا وجدِّدنا لنحس بأننا كلنا فيك واحد، ليزول التنافر والتناحر بين بني البشر، ويسود الحب وحده، ويأتي ملكوتك على الأرض كما في السماء.

طوبى للإنسان الذي تكشف له سرك، وتسكب فيه حبك، فينطلق بروحه مُحررًا من كل أثقال القيود، ويقف أمام مجدك بلا عيب في الابتهاج، بهذا الحب الأزلي والأبدي.

أمستردام ٢٠٠٢/١١/١٢

ألبوم الصور

صور الطفولة والشباب

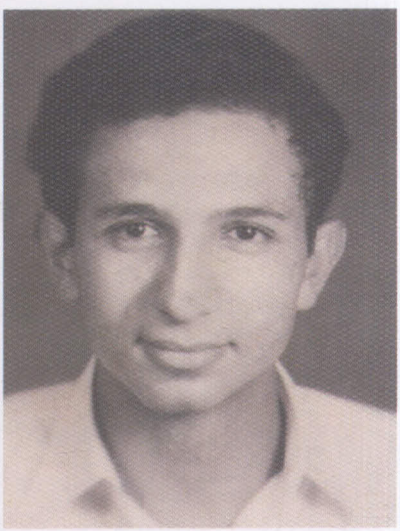

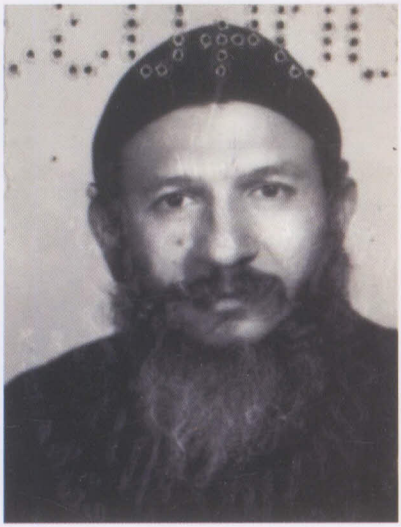

صور من جوازات السفر

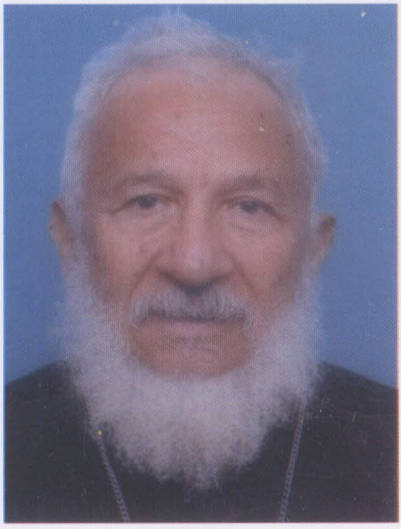

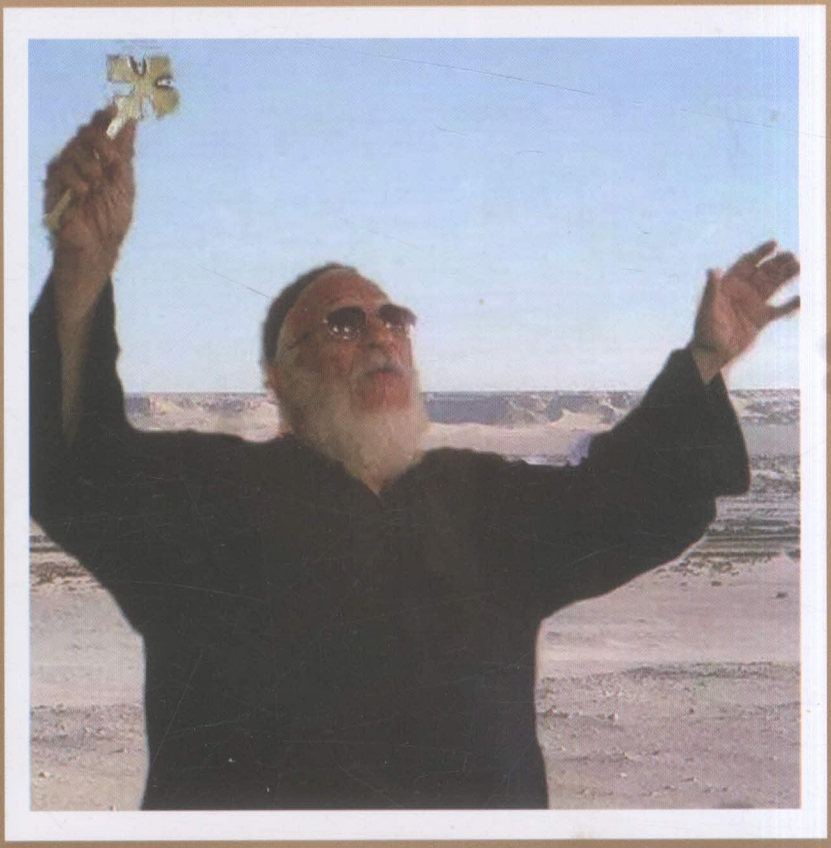

في دير مكاريوس السكندري بوادي الريان

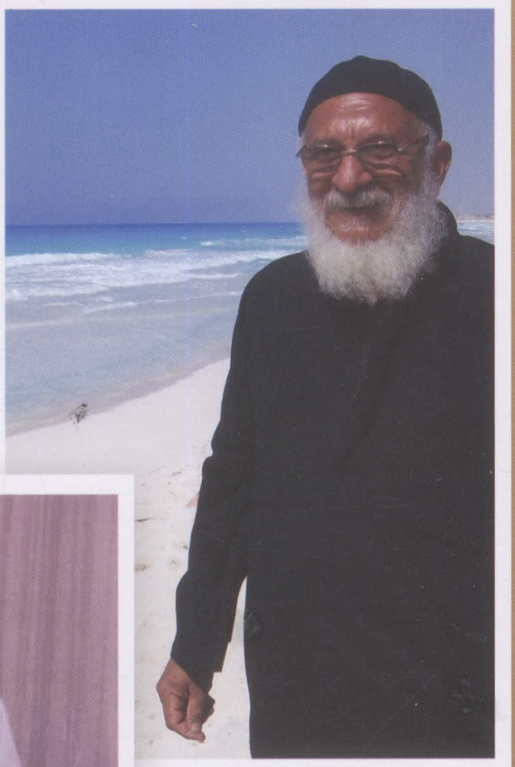

في الساحل الشمالي

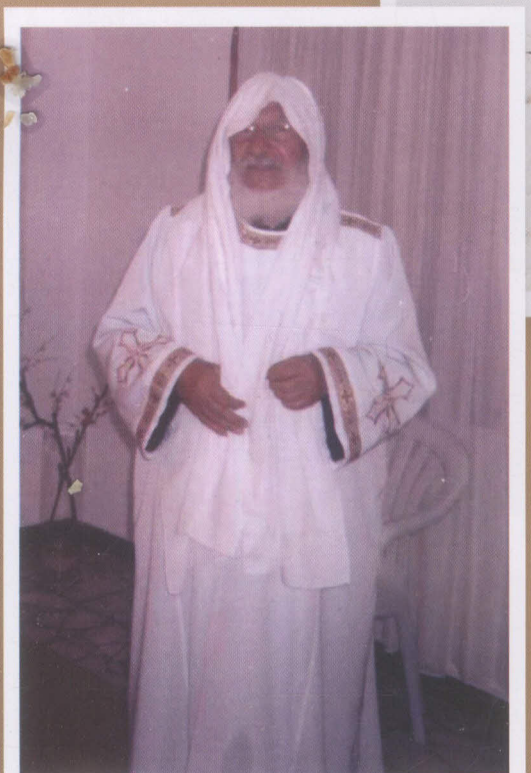

في دير عمانوئيل للراهبات

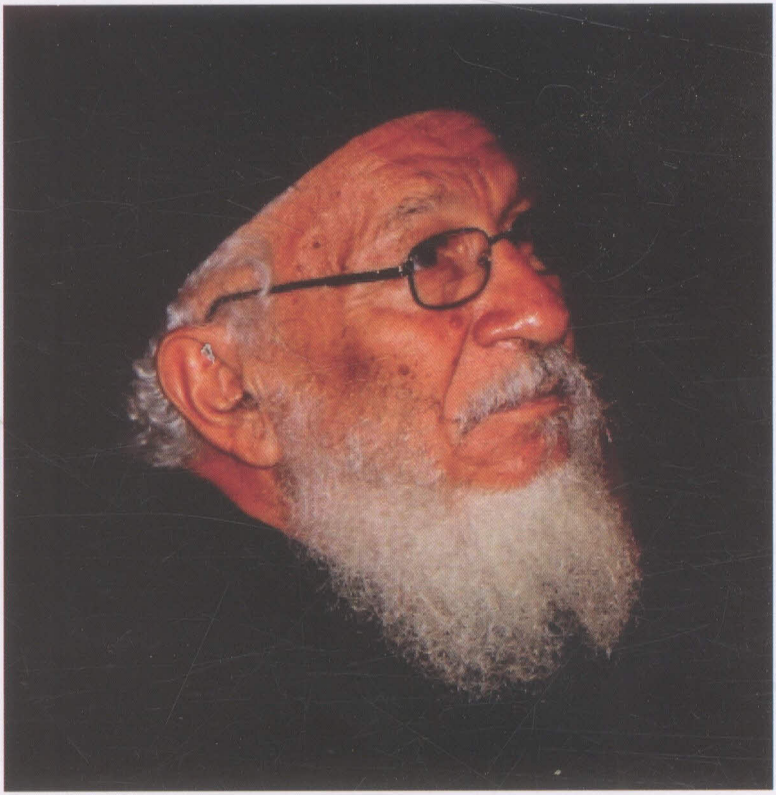

مع أبينا متى المسكين في وادي الريان

أبونا متى المسكين في الوسط وعن يمينه: أبونا مينا، أبونا اسطفانوس، أبونا إيليا، أبونا إرميا.
وعن يساره: أبونا كيرلس، أبونا متى الربيتة، أبونا أليشع، أبونا يوحنا، أبونا يعقوب.

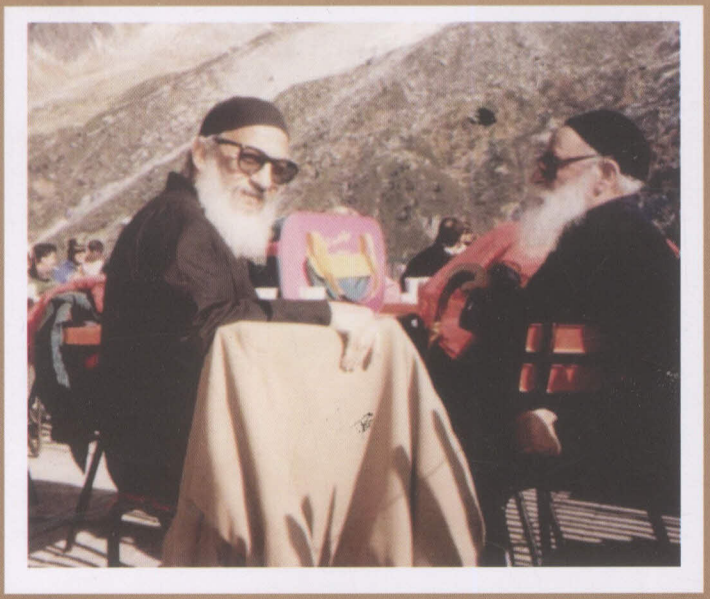

مع الأب متى المسكين في ألمانيا

مع الأب متى المسكين والدكتور يوسف والي وزير الزراعة
أثناء زيارته للدير

مع أبونا مينا المقاري

مع بعض رهبان الدير يوم شم النسيم
عن اليمين: أ عمانوئيل، أ. ثيؤفيلوس، أ. أولوجيوس، أ. إيلاريون
عن اليسار: أ. دانيال، أ. شيشوي، أ. جيروم، أ. كاسيان.
جالساً: أ. يوئيل

مع بعض رهبان الدير أثناء انتظار البابا شنوده في أول زيارة له للدير

مع الراهب بطرس المتنيح والراهب إسحق المتنيح
أثناء التوقيع على أحد المشاريع بالدير

مع الأنبا إبيفانيوس والراهبات في دير عمانوئيل

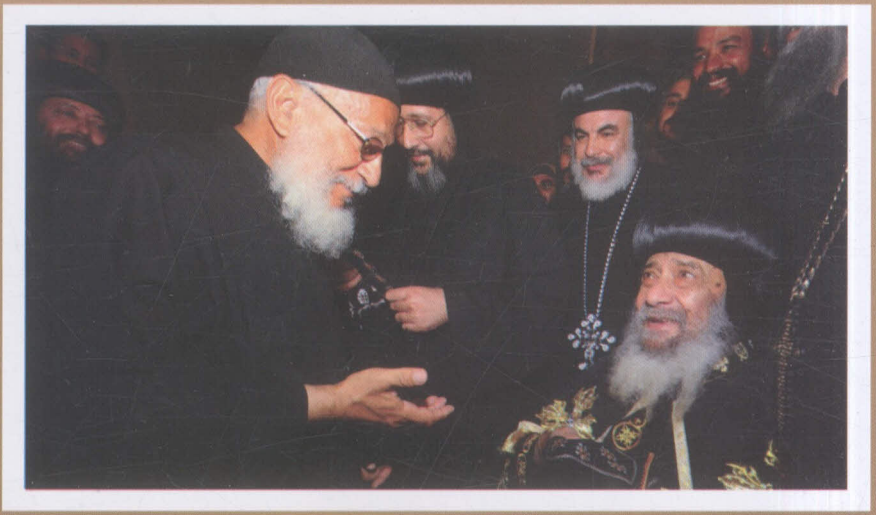

مع البابا شنوده الثالث

مع البابا تاوضروس والراهبات في دير عمانوئيل

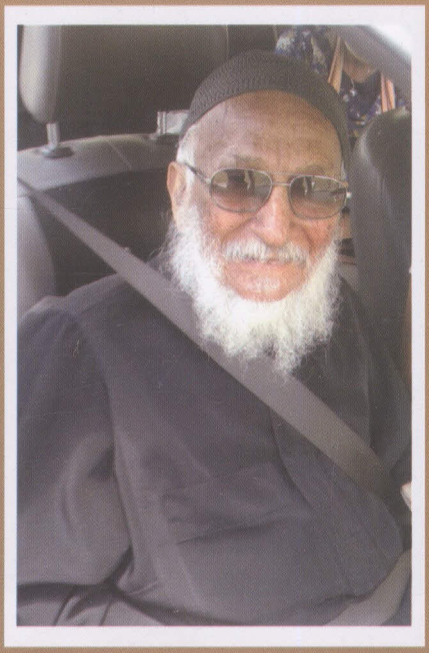

آخر صورة التقطت لأبينا أليشع في الدير قبل سفره للعلاج

على رجاء القيامة

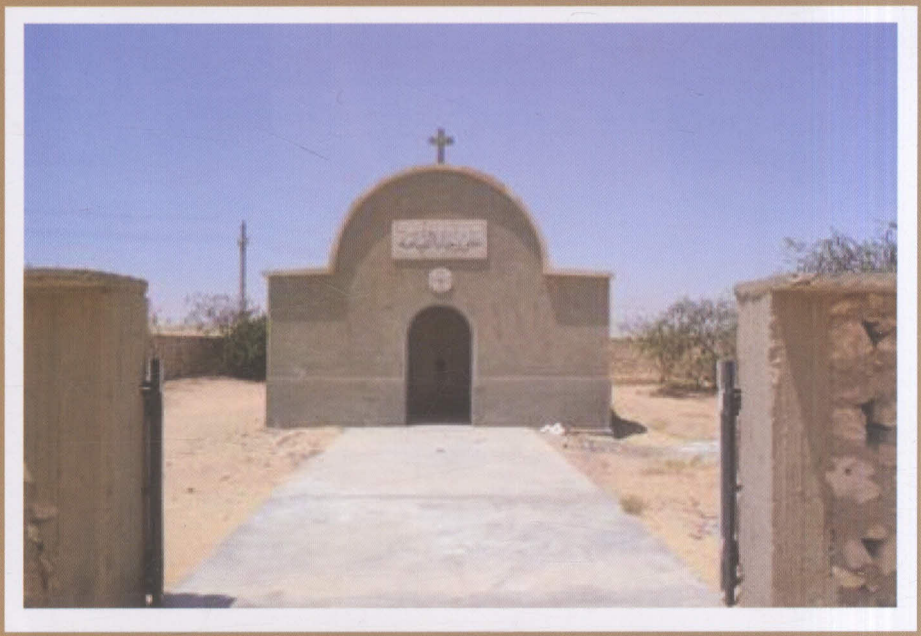

الطافوس الخاص بالآباء الرهبان المنتقلين

الراهب القس
اليشع المقارى
ولد في ٧ / ١١ / ١٩٣٦م
ترهبن في ١ / ٤ / ١٩٦٤م
تنيح في ٢٤ / ١١ / ٢٠١٩م

هذه هي آية حياة الأب أليشع المقاري:

«اَلدِّيَانَةُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عِنْدَ اللهِ الآبِ هِيَ هذِهِ:
اِفْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ فِي ضِيقَتِهِمْ،
وَحِفْظُ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلاَ دَنَسٍ
مِنَ الْعَالَمِ». (يع١: ٢٧)

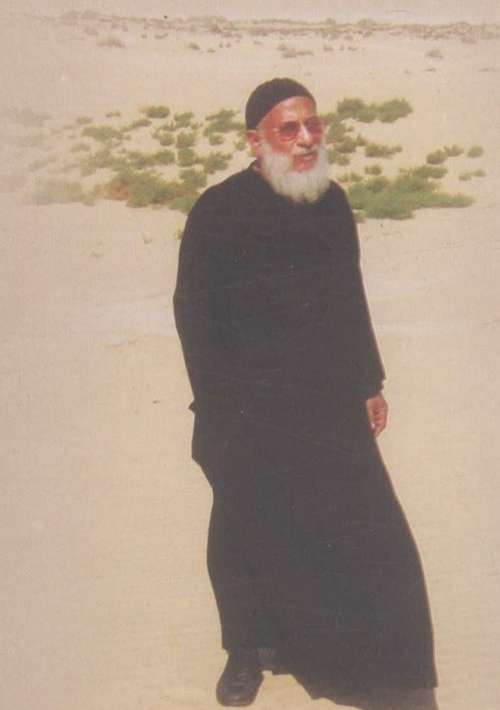

وهذا هو المبدأ الذي تمسك به دائماً:

إن راحتي هي في راحة الآخرين،
وسعادتي هي في سعادة الآخرين،
مهما كانت المشقة التي أحتملها
في سبيل ذلك.